الحمامات البخارية التقليدية في مدينة صنعاء القديمة
(دراسة معمارية وتاريخية وصفية)

م.د/ الآء أحمد الأصبحى

ملخص البحث :

عُرِفت الحمامات البخارية العامة في مدينة صنعاء القديمة، وكان أوج انتشارها في العصور الإسلامية، فقد كان للحمامات دوراً مميزاً وبارزاً في تفعيّل الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، و كان معظمها يعمل بشكل ملحق بالمساجد كوقفيات، يرتبط عددها بعدد الحارات التي تخدمها في المدينة القديمة، أو تعمل بشكل منفرد وينتشر في الضواحي وأطراف المدينة، وكانت الحمامات البخارية على أنواع؛ منها العام، ومنها الخاص، وكان الانتشار الأكبر لها على وجه الخصوص في الفترة العثمانية، حيث سُميت بعض تلك الحمامات بأسماء من بنوها، أو بأسماء الحارات التي بُنيت فيها.

إنَّ الاستثمار السياحي لهذه المعالم الأثرية والتي تقدم صورة لهوية مهددة بالانسحاب في أي لحظة هو جانب مهم لإنقاذ هذه المعالم التي مارست هوية اجتماعية واقتصادية وحتى سياسية في فترات تاريخية سابقة، ومازالت حتى اليوم تمارس هذه الأدوار، لذا فمن الأجدر التنبيه لاستعادة تلك الطقوس الاجتماعية التي تعبر عن تاريخ أمة كان لها رفدها التاريخي والاجتماعي في عطاء الحضارات، والتعاون لاستعادة إحياء تلك الممارسات من جديد، كأسلوب حفاظ ليس معمارياً فقط منزوعاً من الممارسة الإنسانية.

فائدة هذا البحث تسعى لتسجيل تاريخ وثقافة الحمامات في مدينة صنعاء القديمة، وتحديد معالم هويتها الثقافية والاجتماعية والمعمارية، إنَّ انعكاس هذه الدراسة يهدف إلى استمرارية تفعيل منشآت الحمامات البخارية، وإعادة إحياء الروح التراثية لتلك الممارسات، والتي تعود باستثمارات سياحية مجدية إن تمَّ تفعيلها ضمن خطط ممنهجة محفزة تظهرها، وتشكل تقديم خدماتها بمظهر تراثي يحمل كل الشروط الصحية والترفيهية الممكنة.

The Hammam in old Sana'a city
(Architectural, historical and descriptive study)

Abstract :

The Hammam (public steam baths) were known in the old city of Sana'a ever since the ancient times, and they were mostly wide spread in the Islamic epoch where they had a distinctive role in activating the social & economic life, moreover the political life. Most steam baths were mosque extensions that were used as Waqf (Endowment) that generate an income for the mosques, their numbers were associated to the number of areas in the city but some were working individually, the public or private steam baths were widely spread in the ottoman & Islamic epoch had their names after their builders or areas.

The touristic investment for these monuments which are an image of an identity threatened to be withdrawn at any moment is an important aspect to save these monuments, which have put social and economic identity and even political in previous historical periods that people still practice these roles till date. Therefore, it's an important alert to recover the social rituals that reflect the history of a nation which had a historical and social instructive in the civilizations tender, also cooperate to restore such practices as a new method of an architectural preservation not extracted from the humanitarian practice.

The benefit of this research seeks to record the history of the old City of Sanaa steam baths and determine their location, shape and architectural additions that have been developed and when it was done, and pair it with the events of the particular build period as much as possible. And it aimed to activate the continuity of the steam baths facilities & revive the heritage's spirit & practices that can be a touristic investment if done according to systematic plans & provide the services in a traditional appearance that have all health and recreational conditions.

DOI: 10.12816/0040786

- **المقدمة**

تشكل الحمامات أهمية وظيفية وحيوية في نسيج عمارة المدن الإسلامية، حيث تبلغ في أهميتها المرتبة الثانية بعد بناء المساجد، فقد كان لهذه الحمامات دور هام في تفعيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية في المدينة الإسلامية، يرجع معظم تواريخ إنشاء وانتشار الحمامات البخارية التقليدية في مدينة صنعاء القديمة، إلى فترة الحكم العثماني في اليمن، والذي امتد منذ منتصف القرن السادس وحتى أوائل القرن العشرين، وبعض الحمامات يوغل في أقدمية إنشائها إلى العصر السبئي والحميري.

يعرض البحث موضوع الحمامات البخارية في مدينة صنعاء القديمة، والحمامات اليهودية، وما قام به الحمام من أدوار وتأثيرات الاجتماعية والإدارية والاقتصادية والصحية والبيئية، ومنظوماتها الإدارية، وأنواع الحمامات وميزاتها المعمارية والتصميمية، والتي لا تزال كلها تعمل حتى أيامنا هذه ضمن حدود مدينة صنعاء القديمة، كما يناقش البحث دور الحمامات البُخارية في حياة مدينة صنعاء وأهميتها كمكان تطهُّر ونظافة ومركز تجميل ، وما تقوم به من دور اجتماعي واقتصادي وصحي وتجميلي وبيئي، ويتطرق لأدوات الحمام ومواد التجميل، كما يوضح دور الحمام الثقافي في الأدب والغناء والرقص، وآداب الحمام والحمامي والمستحم، ويوثق المنظومة الإدارية والاجتماعية في إدارة الحمام وطائفة الحمامية والعمالة بأنواعها وأدوار كُلاً منهم، والرقابة على الحمامات وفوائد الإستثمار في هذا المجال.

مشكلة البحث: تكتمل هوية الإنسان بالتراث سواء كان تراث مادي أو معنوي فهو يشكل ضرورة إنسانية باعتباره أحد ركائز الهوية وخيار استراتيجي يتصل بتاريخ وحضارة لها مكانتها التي ينبغي أن لا نتحدث عنها بصيغة الماضي ونكتفي، تستوجب الحفاظ عليها واستمرارية تطويعها مما يحدث في ظل الحداثة والعولمة من مسخ وتشويه وأندثار ، لذا الباحث توجد حاجه ملحة لاتخاذ تدابير ليظل هذا التراث جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الشعبية والهوية الوطنية.

تعتبر ثقافة الحمام ثقافة تعبر عن مجال الابداع في تراثها الفكري وأنماط وأنساق العادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعي المصنف بأنه تقليدي ومحافظ، لذا فهي تجمع بين التراث المادي من حيث العمارة والبناء، والتراث المعنوي الذي يضم العادات والتقاليد والأفكار والمشاعر التي تم تناقلها جيلاً بعد الآخر على عدة صور ثقافية ضمت الشعر والغناء والرقص والأمثال والقصص، والتي أظهرها ما يسمى بأدب الحمام، والذي خلد ذاكرة المكان وهويته كونه مرتبطاً بمعارف ومأثورات شعبية بتقاليده الشفوية وممارساته الإجتماعية وفوائدة الصحية والبيئية.

ويعتبر البحث محاولة لنشر ونقل وإحياء ثقافة الحمام وتطويع هذا التراث الثقافي ليصبح في متناول الأجيال، ويسهم في تحقيق الحفاظ على هذه الثقافة القومية والمحلية، وإمدادها وتغذية العقل الجمعي بها، لإمداد مجتمعاتنا بالقيم التي تسهم في تشكيل الوعي العام والحرص على استمراريته كملمح من ملامح هويتنا الوطنية، ومما شجع عملية البحث في موضوع بناء وتصميم وانتشار الحمامات البخارية في مدينة صنعاء القديمة هو ملاحظة الباحث غياب كتاب متخصص يسجل الدور الحضري الذي لعبته هذه الحمامات في حياة مدينة صنعاء.

أهمية البحث: عرفت الحمامات البخارية العامة في مدينة صنعاء القديمة منذ فترات تاريخية مبكرة، لكنه لم يتم الحسم في تحديد زمن تاريخي لبداية ظهورها، فما تذكره المراجع وواقع الحال هو تأريخ مروي لحمام سبأ الذي يعود للعصر الحميري، كانت الحمامات على أنواع منها العام ومنها الخاص، وكان أوج انتشارها في العصر الاسلامي والعثماني على وجه الخصوص، حيث سميت بعض الحمامات بأسماء من بناها، أو بأسماء الحارات التي بنيت فيها. ومع نمو المدينة في أجزاءها كانت الحمامات تتزايد في انتشارها كعنصر من عناصر التوسع مثل المسجد ودور السكن والمرنع –بئر الماء - وغيره من مكونات وعناصر الحارة الصنعانية ، ولعل من دواعي إجراء هذا البحث التوثيقي هو تواضع دور هيئة الآثار في الحفاظ على الحمامات، وسيطرة دائرة الأوقاف في إدارتها. والتي رمت بكل الحمل على العائلات التي تدير تلك الحمامات واقتصار دور الأوقاف على تلقي أجور رمزية رأس كل شهر مقابل السماح لتلك العائلات بتشغيل تلك الحمامات، مما عزز الموقف السلبي في عملية الحفاظ على تلك الحمامات بصورتها الأصلية.

إنَّ الاستثمار السياحي لهذه المعالم الأثرية جانب مهم لإنقاذ هذه المعالم التي أثرت في المدينة القديمة هويةً اجتماعيةً واقتصاديةً وحتى سياسية، في فترات تاريخية، ومازالت حتى اليوم، لذا فتحديث الإستخدام لتلك المنشئآت والتي تعبر عن تاريخ أمة كان لها رفدها التاريخي والاجتماعي في عطاء الحضارات، والتعاون لاستعادة إحياء تلك الممارسات من جديد بصورة عصرية تضمن ديمومة استمراره والاستفادة منه.

هدف البحث: القيام بدراسة توثيقية تاريخياً ومعمارياً لحمامات مدينة صنعاء القديمة، لإبراز أهمية الحمامات كهوية تاريخية، من الممكن تفعيلها واستثمارها سياحياً لمدينة صنعاء القديمة.

منهج البحث: تتحدد منهجية البحث بمحورين:

المحور الأول: دراسة المنظومة الإدارية والاجتماعية والتصميم المعماري وأجزاءه الوظيفية ومواد بناءه.

المحور الثاني: يشمل التحقيق التاريخي والذي يستقي موارده من الروايات التاريخية لأهل المنطقة، والمخطوطات والمصادر والمراجع التاريخية، الوقفيات الخاصة بالحمامات.

الدراسات السابقة: اعتمدت الدراسات السابقة التي تناولت موضوع البحث على الدراسات والمؤلفات التي قام بها مستشرقون أمثال سيرجنت ولويكوك في مؤلفهما (صنعاء مدينة اسلامية) حيث قام الباحثان بإفراد مبحث عن الحمامات التي ورد ذكر بعضها في عرض جزئي لها، دون ذكر تفاصيل شاملة أو تغطية جميع الحمامات.

ومثلها في الاقتصار على ذكر تلك الحمامات كان كتاب (أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الاسلامية المختلفة) والصادر عن منظمة العواصم والمدن الإسلامية في دراسته التحليلية عن العاصمة صنعاء، يذكر فيه بعض الحمامات بتفصيل هندسي معماري دقيق لعينة مكونة من أربع حمامات ، بينما قام يسر (2004) بتعداد أسماء الحمامات الموجودة داخل المدينة و خارجها واحصى أربعة عشر حماماً من ضمنها الحمامات اليهودية بالقاع، ولم يتم التطرق إلى الوصف المعماري لها، بل تم الاكتفاء بالمعلومات المتحصلة من المصادر التاريخية عن تاريخ الإنشاء لبعضها وبعض منشئيها، والأبيات الشعرية التي ذكرت فيها منذ القرن السادس عشر الميلادي.

وكان لكتب المصادر التاريخية دور كبير لرفد السرد التاريخي والاستشهاد به في مواقع كثيرة من بنية البحث حيث قام كتاب (حدائق النمام في الكلام عن ما يتعلق بالحمام) لمؤلفه أحمد بن محمد الحيمي الكوكباني والذي ذكر فيه ما يتعلق بالحمام وتصوير الحياة الاجتماعية والثقافية للعادات والفلكلور في صنعاء، وكتاب (القول التمام في آداب دخول الحمام) ، والذي يذكر أحكام دُور الاستحمام في الفقه الإسلامي لشهاب الدين أحمد الشافعي، وكتاب (قانون صنعاء) للسياغي في القرن الثاني عشر الهجري والتي يُفصل القوانين ودور الحكم الإداري في إدارة المنشآت العامة والوقفيات والتي منها الحمامات.

أما بالنسبة للمؤلفات والأدبيات العربية والدراسات التي شاركت في مؤتمرات عربية ومنها المؤتمر الدولي عن الحمامات التقليدية في حوض البحر الأبيض المتوسط: (تراث من الماضي واستدامة للمستقبل) والذي عقد عام 2008 م – 1824 هـ فقد قدمت باقة متميزة من البحوث التي دعت لإعادة إنتاج ثقافة الحمام الشعبي للأستاذة دليلة الكرداني، وبيتا كولب التي وجهت دعوة إلى سبل إنقاذ الحمام في عواصمنا العربية ، ومن خلال مراجعة أدبيات هذا المؤتمر لوحظ غياب حقيقي في (مشروع حمام) لدور الحمام البخاري التقليدي الصنعاني في المدينة الإسلامية في اليمن ، هذا الغياب الذي حاول الباحث (عامر: 2014) لاحقاً تقديم جزئية في دراسة نشرت في مجلة " تقنية البناء" عن دوره في تكوين المدينة الإسلامية في مدينة صنعاء، كحالة دراسية قدمت، مدى انتشاره حتى اليوم وفاعلية تأثيره كثقافة وتحليل كيفية انتشاره في النسيج العمراني للمدينة.

وقد كان للرجوع للدراسات العربية أهمية لضرورة الاستشهاد بها عند عقد الدراسات المقارنة خصوصاً ما رفدته بتفاصيل عوضت عن الفجوات التي سببها إخفاء الوقفيات المتعمد من قبل المسؤولين والجهات المختصة في اليمن، وكان من ضمن تلك الدراسات ما قدمته الأستاذة سعاد محمد حسن من معلومات قيمة عن طائفة الحمامية في رسالة الدكتوراة التي قدمت لجامعة القاهرة، وكتاب محمد عبد الحفيظ عن حمامات الاسكندرية.

- **نشأة الحمامات**

يتبادر للذهن عدة تساؤولات لماذا يوجد دائماً الربط بين الماء والحياة ؟ ولماذا النظافة والمحافظة دوماً على استخدام الماء يعنيان الصحة؟ ولماذا احتلت الحمامات في الزمن القديم معاني التجدد وديمومة الحياة واستمرارها؟

لقد أشارت أغلب الحضارات في قصص التكوين وبدء الخليقة بأصل الماء ومركزيته لتكوين الحياة وأنه سبق الوجود، وفي أغلب الطقوس الدينية يأخذ الغطس والتعميد صفة الدخول أو التطهر أو التجديد؛ وكل ذلك هو رمزية تحمل معاني العودة للحالة التي سبقت تشكله وتشكل الأشكال الحياتية، ويحلو للبعض تشبيه الاستحمام بالعودة للسباحة في بطن الأم؛ لذا اتخذ **الغمر** في المياه معناه الرمزي بعد الولادة الطبيعية بأنه ولادة متكررة في العديد من الديانات تعاد فيه الحياة لهذا

الانسان، وتسمح له بالدخول باتجاه متعة أو زهد أو حتى عقيدة ، كما تُشير العديد من المراجع التاريخية بأن فلسفة التعميد أو الغمر قد سبقت في ظهورها الديانات السماوية المتأخرة فقد كانت منتشرة في بلاد الشام قبل مئة وخمسون عاماً من ميلاد المسيح.

وفي كافة ثقافات العالم وجدت الطقوس التطهيرية سواء في الهند حيث يتم غسل تماثيل العبادة والمؤمنين بها، وفي مصر القديمة في العهود المتاخرة كان الكهنة يغتسلون في بحيرة مقدسة قبل الفجر، وكان الحمام المقدس للتماثيل معروف في عبادة الآلهة الفينيقية، حتى أن أغلب المعابد المكتشفة كانت لا بد وأن تُلْحَق بها أحواض مائية لم تكن بالتأكيد فقط لغرض الشرب؛ بل أن طقوس الماء كانت تؤَدى بصورة أو أخرى.(العريقي: 2002)

وتذكر الموسوعة اليمنية بأنَّ أهل اليمن عرفوا الحمامات منذ الحضارات القديمة حيث كانت تنشأ بجوار المعابد قبل الإسلام، وأستمر هذا الترافق المكاني بين أماكن العبادة والاغتسال حتى بعد دخول الإسلام ، فكانت الحمامات غالباً ما تبنى بجانب المساجد لصلة الطهارة والاغتسال كشرط للعبادة وإقامة الصلوات.(الموسوعة اليمنية: 2003)، وتعتبر الحمامات في مدينة صنعاء القديمة من بين التكوينات المعمارية التي نسبت لأصل حميري، فأقدمها حمام سبأ وحمام ياسر بن يهنعم ، لكنها اندثرت مع عوامل الزمن. (العريقي: 2002)

وفي الحضارة الاسلامية احتل إنشاء الحمام في بناء المدينة المراتب الأولى في الأهمية، فكانت تبرز أهميته بعد بناء المسجد ودار الإمارة في تكوين المدينة الإسلامية عند بدايات تخطيطها، فكان المِصر مِصراً إلا إذا اجتمعت فيه سبع صفات اتفق عليها العلماء واعتبرت من شروط المصر ذكرها الحيمي في الأبيات التاليه:

المصر في صحة التجميع مشترط فاسمع حقيقة ما يحويه تفصيلاً
والِ وقاضٍ طبيبٌ جامعٌ وكذا سوقٌ ونهرٌ **وحمامٌ** كما قيلا

- **حمامات مدينة صنعاء القديمة**

تقع مدينة صنعاء وسط المرتفعات الجبلية وسط سهل (قاع صنعاء)، وتُعد إحدى أقدم المدن المتوغلة في عمق التاريخ ، وإحدى أقدم مدن الشرق القديمة والتي عرفت المراحل الأولى للإستيطان البشري، تذكر الروايات التاريخية بأنَّ صنعاء كانت تسمى **آزال**- يقال بأن أزال هو أحد أبناء يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح- ولعل العديد من الروايات التاريخية مع تعليق صحتها تناولت نشوء هذه المدينة العريقة، أبرز تلك الروايات ما ذكره الحسن بن أحمد الهمداني توفي عام 945 م – 333هـ في كتابه الإكليل بأنَّ سام بن نوح اختار السكنى في أرض الشمال وأقبل طالعاً في الجنوب يرتد أطيب البلاد حتى صار إلى الإقليم الأول فوجد اليمن أطيبه مسكناً ، وارتاد اليمن فوجد حقل صنعاء أطيب ماءاً، وبنى مدينة صنعاء بين الجبلين نقم وعيبان(الموسوعة اليمنية، 2003).

كما تذكر رواية غسان بن عبيد والواردة في كتاب تاريخ مدينة صنعاء بأنها بنيت منذأربعة آلاف سنة، وبأن قحطان هو من بناها، وقيل بأنها بنيت بعد الطوفان وبناها سام بن نوح، واسم صنعاء في اللغة اليمنية القديمة مشتق من الجذر صنع أي منع وحصن ، وهو بنفس معنى أزال الذي يشير للقوة والمنعة ، وقد عرفت باسم صنعاء في النقوش منذ فترة ميلاد المسيح، إن كبر مساحة المدينة ومناخها وتحصنها بالسور والجبال المحيطة بها جعلها تستمر في تطورها إبَّان العصور الإسلامية كمركز لوالي الحكم فقد كانت قبل الإسلام وفي الفترة التي امتدت من القرن الثاني وحتى القرن السابع ميلادي، ذات مساحة وتعداد سكاني متزايد، كما مثلت سوقاً ومركزاً تجارياً على المستوى الإقليمي والعالمي (طاهر: 2005).

وتبين الموسوعة اليمنية بأَّن الحمامات في اليمن على نوعين ، حمامات الينابيع الساخنة (الطبيعية)، والحمامات العامة (المتواجدة في المدن)، فالنوع الأول موجود ومنتشر بكثرة في بعض الوديان والمناطق البركانية مثال حمام دمت وحمام علي وغيرها، بينما النوع الثاني مفتوح للعامة.(الموسوعة اليمنية: 2003)، وتعتبر الحمامات العمومية والشعبية مباني استمرت في تقديم خدماتها منذ فترات تاريخية موغلة في القدم، ولم تكن حكراً على ثقافة أو حضارة معينة بل كانت نشاطاً إنسانياً لا يحده زمن أو منطقة جغرافية، كان لفترة الحكم العثماني دورها في بناء وانتشار الحمامات والتي غالباً ما رافقت إنشاء المساجد مثل حمام الطواشي والميدان، وكان لها أثرها في تطور تخطيط الحمامات المعماري وتوسع مساحتها. (البنا: 1993)

يذكر الرازي في تأريخه لمدينة صنعاء بوجود إثنا عشر حماماً في سنة 991م – 380هـ رغم ما أصابها في أواخر القرن التاسع الميلادي من خراب ودمار وحروب، وقام المؤرخ زباره بعد هذا التاريخ بألف عام و أحصى عددها فكانتأربعة عشر حماماً عام 1960م – 1379هـ ، وهذا لا يعني بأنها نفس الحمامات التي أحصيت في ذلك العهد بل قد تكون بقيت بعضها واندثر معظمها وتجددت أجزاء منها(المصدر السابق)، وقد كان للمدن اليمنية الأخرى نصيبها من هذا الانتشار لبناء الحمامات خاصة إذا كانت المدينة تمثل مركز إمارة أو عاصمة للدويلات التي حكمت اليمن في العهود الإسلامية، وكان تزايد أعدادها وازدهارها بحسب اهتمام الحَّكام فيها مثل تعز وزبيد إبَّان حكم الدولة الرسولية.(الموسوعة اليمنية: 2003- العمري: 1989).

الحمامات اليهودية في مدينة صنعاء القديمة: لم يكن سكان مدينة صنعاء فقط من المسلمين بل كان يسكنها عدد من الكتابيين (اليهود)، وكانت لهم حماماتهم في الأحياء التي سكنوها مثل حمام الفَيْش في حي القاع (قاع اليهود) وهو حمام يعود للقرن الثامن عشر الميلادي، وكان اسمه الأصلي (المخلفة)، وبناه اليهود خصيصاً لهم، وسمي أيضاً بحمام الأسطى،(يسر:2004) وبمثل نفس المكانة والأهمية التي تصدرها الحمام في الديانة الإسلامية.

إن كلمة الحمام الطقوسي المسمى (**مكفيه**) بالعبرية؛ هو الحمام الذي يستخدم ليتطهر فيه اليهود بعد النجاسة، كما أنه مكان حمام يستخدم لتطهير الأوعية التي صنعها غير اليهود، وكي يكون الحمام مستوفياً لجوانبه الشرعية يجب أن يكون الماء كافياً لتغطية جسد امرأة متوسطة الحجم، مع اشتراط أن يكون مصدر الماء من عين أو نهر أو بئر.

ولا يجوز شرعاً أن يسكن اليهود في مكان لا يوجد فيه حمام طقوسي، وتطبق هذه الأحكام الصارمة في الاغتسال، وعلى المرأة بشكل خاص حيث يتعين عليها أن تأخذ حماماً طقوسياً بعد العادة الشهرية، لأنها تعزل نفسها عن زوجها مدة أسبوعين كل شهر وذلك أثناء الدورة الشهرية، فهي نجسة وكل ما تلمسه تنجسه إلى حد أن زوجها لا يناولها الإناء بل يضعه على الأرض لتأخذه، وبعد أسبوعين تذهب للحمام الشرعي لتتطهر وهذه هي التعاليم التي يتبعها طائفة تسمى (الحسيديم).

كانت الديانة اليهودية تُشدد على كل من يتهود – يدخل في الديانة اليهودية – أن يأخذ حمام طقوسي يخضع فيه المنضم للدين لشهادة ثلاثة من الحاخامات الذين يشهدون طقس الاستحمام ، يضع (شومان: 2000) تساؤلاً عن السماح باستخدام اليهود لحمامات المسلمين، أم هل كانت لهم حمامات خاصة بهم، وهل خصصت أيام معينة كما هو الحال في مصر لأهل الذمة كحمام البسيري في القاهرة في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، لعل المراجع التاريخية لم توضح جواباً لهذا التساؤل ، إلاَّ أن واقع الحال وحتى فترة قريبة يعامل الحمام معاملة المرفق السياحي، فنجد الحماميين لا يمانعون من دخول السواح وهم على الأغلب من غير المسلمين، فكانت هذه الحمامات تستقبل اليهود والنصارى ماداموا ملتزمين بآداب الحمام في سلوك الاستخدام والطهارة.

لكن يجدر القول ايضاً أنها عملية مزاجية حيث أنَّ بعض الحمامات ترفض تواجد غير المسلمين فيها لأسباب التطهر، ولعل حمام الجلاء (وتعني جلاء اليهود عن الحي والحمام) دليل على بدء اعتزال اليهود عن استخدام حمامات المسلمين ، وذلك لفرق التصميم ، حيث يشمل حمام اليهود على مغطس أو بركة تُسمى (بركة الماكيفا)، وتستخدمها المرأة النفساء بعد ولادتها وبحظور شهود، حيث تغمر رأسها في البركة للتطهر من نجاسة الولادة والتي تحدد للولد بخمسة عشر يوماً وللبنت بثلاثين يوماً. (سفر اللاويين – الإصحاح 13/12) ، ومن طقوس الديانة اليهودية بأن المرأة تبطل طهارتها إن دخلت الحمام ورأت الكلب أو الحمار أو الأغيار (الخياط : ب. ت) ، لقد اهتمت الشريعة اليهودية بالطهارة بشكل متطرف وحاد حتى أنها فصلت بين اليهود المقدسين والأغيار (المسلمين ومن غير الديانة اليهودية) المدنسين . (المرجع السابق)

وشملت أحكام التطهر لديهم مختلف مصادر النجاسة كالجماع والقذف والولادة التي كانت ترفد كذلك بتقديم قرابين حيوانية كجزء من التطهر، وشملت تلك الأحكام حكم ملامسة جثث الموتى، والتي تقضي برش الملامس لها من اليهود برشه بالماء المخلوط برماد بقرة صغيرة حمراء.

الاصطلاح والمعنى اللغوي لكلمة حمام: يرد مصطلح الحمَّام كمفرد في المراجع يقصد بها مكان الاستحمام، بينما الحمَّامي اسم لوظيفة منسوبة للحمام وهو صاحب الحمام أو العامل فيه. (الموسوعة اليمنية: 2003)، ويذكر كتاب صنعاء (2005) بأنَّ الحمام سمي حماماً لما فيه من الماء الساخن، ولأنه يُعرِّق ، وجاء الإسم من الحميم وهو الماء الشديد الحرارة، يُقال: " **إذا استحم الرجل إذا اغتسل بالماء الحميم**"، يقال اذا استحم الرجل إذا اغتسل بالماء الحميم، ولا يقال طاب حمامك، بل يقال: طابت حِمَّتُك وحميمك أي عرقك" .(الحيمي: 1986)، عرَّف محمد سيف في كتابه منشآت الرعاية، وحسني نويصر في كتاب

الآثار الإسلامية، ومحمد أمين في كتاب المصطلحات بأنَّ: **الحمة** : العين الحارة التي يستشفي بها الناس، **وحممت** الماء: تمَّ تسخينها، **والحميم والحميمه**: الماء الحار.

فكل ما سخن فقد **حم، والاستحمام**: الاغتسال بالماء الحار، أما تعريف الحمامات كمصطلح في العمارة الأثرية هي مباني خاصة تستخدم للاستحمام، والعلاج، وهي مكونة من وحدات معمارية. (الحداد: 1989)، توجد العديد من التفسيرات والتعاريف لمعنى كلمة حمام، فيذكر الرازي بن محمد (1995) بأن كلمة حمام في المعاجم تعود لأصل كلمة (حمَّه)، بفتح الحاء وتشديد الميم، وهي العين التي يستشفي بها الأعلاء والمرضى ، وقد وردت كلمة (الحمام) مؤنثة ومذكرة ، فجمعه (**حمامات**) مؤنث، ومفرده (**حمام**) مذكر بحسب تعريف سيبويه حيث قال: "جمعوه بالألف والتاء، وإن كان مذكراً حين لم يكسر جعلوا ذلك عوضاً من التكسير". (ابن منظور: 1956).

وفي معجم لسان العرب ايضاً بأنَّ الحمام كان يسمى ب (**الدّيماس**)، بفتح وتشديد الدال، بقوله: "والحمام، **الدَّيماس**، مشتق من الحميم "، ويجب أن ترتبط كلمة **دَّيماس** دائماً بلفظ حمام ، ذلك أن لها عدة معانيً أخرى، فهي تعني القبر، فيقال: **دمسته** في الأرض أي دفنته، وقد تعني الكلمة : الظلمة الحالكة (المصدر السابق)، ويذكره الزمخشري بالبّلان في كتابه (الفائق في غريب الحديث)، وذلك لأن من يدخله (يبتل)، ما بعرقه أو مائه. (الزمخشري: بدون تاريخ)

فقه الحمام:

يعتبر الفقه من أهم العلوم الإسلامية ، فهو علم يبحث في جميع مسائل الحياة الاجتماعية ويحدد موقف الشرع منها، فلا تخلو واقعة من حكم ولو كانت على مستوى تحديد الوظيفة العملية ، وفي فترة بعثة الرسول محمد (ص) جاءت الرسالة لتؤكد أهمية التطهر كضرورة لممارسة العبادات؛ فوردت في التنزيل الحكيم العديد من الآيات الكريمة التي تحفز المسلم المؤمن لإدخال التطهر والنظافة في سلوك حياته اليومي للمحافظة على صحته ونشاطه، حيث يقول عز وجل: " إنَّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " (سورة البقرة آيه 222)، وفي (سورة المائدة آيه : 6) يدعو عز وعلا إلى الطهارة والغسل بعد الجنابة؛ قال تعالى: " وإن كنتم جُنباً فاطهروا"، وقد دلت الأبحاث العلمية مؤخراً على أهمية الإغتسال بعد الجنابة لإستعادة نشاط الخلايا وتجديدها في الجسم وإزالة ما علق بالجسم من إفرازات وتعرق ورائحة، فالإغتسال بعد الجنابة يضيف اللمعان والبريق للجسم ويكون أملساً ليس خشناً، وتتوالى الآيات الكريمة في التحفيز والتذكير بأهمية الطهارة حتماً ، لما يرتديه المرء من ثياب في سورة المدثر آيه: 4 "وثيابك فطهر" وهو ما أيدته وأكدته السنة النبوية بقول الرسول (ص): "الطهور شطر الإيمان" رواه مسلم؛ وشطر الإيمان أي بمعنى نصفه؛ حيث اعتبر أنه من علامات الإيمان واكتماله طهارة البدن والثوب والمكان.

ومثل المصادر الصحية والطبية والعلاجية لم تقصر المصادر التاريخية وحتى الفقهية في أداء دورها في توضيح أهمية الطهارة والالتزام بها لأداء الشعائر اليومية من صلاة وتطهر وأحكام الاغتسال وشروط إقامة أماكنها وكيفية استخداماتها وآدابها ، ومنها ما كتبه شهاب الدين أحمد الأفقهسي المتوفي في 1405م- 808 هـ في كتابه (القول التمام في آداب دخول الحمام) والذي أورد فيه العديد من التفاصيل عن مضار وفوائد الحمام، حيث أشارت هذه المصادر التاريخية منذ فترة مبكرة لما توصلت إليه الأبحاث العلمية الحديثة من نتائج لفوائد الاغتسال، بل أن تلك المصادر صنفت وحددت بدقة فوائد المياه الباردة والساخنة والتدليك على الجسم وتأثير كل منها بتفصيل يبعث على التقدير لدقة ما ورد.

كان للحمامات مسائلها الفقهية التي نظمت العلاقات فيه، وحلت مسائل الخلاف به، فما ذكره (الحيمي) عن القسمة بالمهاياه وهي الهيئة المعلومة للشيء المقسوم بين الشركاء إذا اختلفوا في قسمة الحمام بينهم، وحكم النجاسة إذا وقعت في أنابيب الحمام الذي يمر فيها الماء إلى الحياض، حيث لا تقع النجاسة إن لم يقع التغير في الماء بل يجوز التوضؤ به إن لم يتغير الماء.(الحيمي: 1986)

- **الحمامات البخارية في حياة مدينة صنعاء القديمة**

لعبت الحمامات دوراً كبيراً في تأسيس حياة مدينة صنعاء، فظهرت أدوارها في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والصحية والبيئية ولم تغفل حتى في دورها الثقافي، فكان للحمام أدبه وآدابه، وعند التطرق لهذه المجالات لا بد من إفرادها بالشرح والتوضيح كالآتي:

دور اجتماعي: لم يختلف الدور الاجتماعي للحمامات في مدينة صنعاء القديمة عن غيره من المدن العربية الاسلامية، إلا بشيء واحد، وهو استمرار هذا الدور إلى فمازال الحمام الصنعاني يلعب دوره الاجتماعي في حفلات الزواج والولادة وغيره من المناسبات.

ففي مناسبات الزواج توجد طقوس تمثل زفة الحمام للرجل والمرأة ، حيث تذهب العروس (الحريوه) للحمام في موكب احتفالي يضم نساء العائلة والأقارب والصديقات، وتكون العروس مغطاة – وباللهجة المحلية (مغمقة) – من أعلى رأسها حتى أسفل قدميها بستارة ومغمق ومَصْوَن وقناع ولباس يدعى الشميط يشبه المصون إلا أنه من القطن ، وتوضع على رأسها بُرنُس بطول 30 سم مغطى بالذهب والرياحين والورود، وتلبس عقداً من المرجان بحباته الضخمة الكبيرة الحجم والذي عادة ما يكون إرثاً عائلياً أو يتم استئجاره، ثم تدخل الحمام بعد أن تزف من باب الحمام بالزغاريد والأهازيج وتكسر بيضة عند دخولها ، وتحيط بها الفتيات بمزاهر الريحان والشذاب ومرشات عطر الورد ، والنساء تغني وتطرق على الصواني النحاسية(صورة 1).

صورة 1:العروس في زفة الحمام (يوم الغسل) (www.theyemen.com/vb/t93208.html6.6.2016)

ولا يجوز لوالدة العروس الذهاب للحمام مع ابنتها لعادة قديمة، لكي تقوم باستقبال ابنتها بزفة عند رجوعها من الحمام، لاستقبال الضيوف ومتابعة التجهيزات للعزومة ويتم تجهيز عزومة غداء على شرف العروس، وفي الحمام تتكلف

إحدى الحماميات بعملية وتهيئتها في مكان خاص (الخلوة) داخل الحمام، وتكون (البوقجه) أو(البوكشه) باللهجة الصنعانية؛ وهي خرقة قماش مقصبه وتحتوي جميع ثيابها وأدواتها اللازمة، وتراب الروس الذي كان يستخدم بدل الصابون لتنظيف الجسم وتنعيمه، وتخرج بزفة بعد أن تكون تجهزت تماماً ، عادة هذه الزفة تسمى (الغسل) وتسبق ليلة الزفاف بليلة أو بنفس اليوم في الصباح، وتكون قد خضبت وتسمى (مخططة) بمعنى رسموا على وجهها خطين عند الجبهة كقصة الشعر ، وخطين عند الحواجب.(صورة 2) لفتاة يمنية مخططة ولا يختلف العريس (الرجل - الحريو) في هذا الطقس عن العروسة، حيث يتم زفه إلى الحمام مع مجموعة من الأصدقاء، ويجلسون على المصاطب ، وقهوة القشر التي تقدم لهم ، والمنشد والموسيقيين فيقوموا بالغناء والإنشاد ويحنوا العريس (الحريو) ، ويغسلوه (يمحطوه) وعند دخوله لبيته يزف مرة أخرى.

صورة(2): فتاة يمنية متزينه بالخطاط على وجهها (www.theyemen.com/vb/t93208.html6.6.2016)

وبالمثل فالحمامات كانت تلعب دوراً هاماً في مجال الخطبة والزواج (ابن دانيال: مخطوطه) فالخاطبة تحرص دائما على التواجد في هذا المكان لتصف الفتيات لزبائنها، وهذا الدور لم يكن فقط في اليمن بل حتى في البلدان الأخرى، فعلى سبيل المثال مصر الفاطمية والمملوكية (عبد الرزاق : 1974: 139)، ولا تقتصر الحمامات لأحتفالات الزواج ؛ بل تشمل كذالك احتفالات الختان، حيث يزف الطفل أحيانا – قديماً – على فرس وبثياب جديدة إلى الحمام، هذا في المناسبات الخاصة ، لكن في الحياة العامة هنالك تقليد دارج حتى هذه الأيام عند الأزواج، فتجد في صنعاء القديمة تذهب النساء في صباح يوم الخميس للحمام لتتهيأ للسهر مع زوجها (السمرة) ويكون الدور (الدَّوْل) في أغلب الحمامات في هذا اليوم مخصصاً للنساء، أمّا صباح الجمعة فيكون الدور عادة للرجال ليتطهروا لصلاة الجمعة.

ولعل من الطريف ذكره بأن بعض الأزواج كان يشترط على نفسه أمام القاضي الشرعي بالدفع لزوجته نفقة شهرية، يخصص جزء منها للحمام، لتتجمل له زوجته، ويلتزم بشراء مستلزمات النظافة والتطهر، من صابون وسدر وعطور وبخور.(عبد الحفيظ: 2007) وكان خير من يستفيد من الناحية الصحية هي المرأة النفساء، فبعد الأربعين يوماً تذهب لعمليات التدليك بالدهون الطبية، وتحرص على المداومة على الحمام لتتخلص من الشحوم الزائدة على الجسم.

على غير عادة النفساء في المجتمعات الأخرى ، فالنفساء في المدينة صنعاء لا يقتصر ذهابها للحمام بعد الأربعين، وهو ما يطلق عليه إسم (يوم الوفا)، أي أوفت وانهت أيامها الاربعون، بل تزور الحمام من زيارتين إلى ثلاثة زيارات ، أولها بعد أسبوعين من الولادة ، لأنه بحسب عادات الوالدة (النفساء)أنها تدخل (ديوان الولاد)، وهو المجلس الذي يوضع لها فيه سرير مزين، خلفه ستارة معلقة تزين بمصاحف وحروز لحفظها ومولودها، ويبدأ في تهنئتها وزيارتها الأقرباء والأصدقاء، ويستمر هذا الطقس طوال أربعين يوم، تجد فيه الوالدة من يقوم بخدمتها هي ومولودها، وقد تخصص لها أمرأة ترافقها تسمى (شَارْعة) تعتني بها وتصحبها للحمام أو أحد قريباتها ، حيث يتم تبخيرها ببخور خاص من اللبان والعود ، ويسمى البخور الوالدة حيث يختص هذا البخور بلم رحمها وتعقيمها وعلاجها من آثار الولادة.

ومن العادات الاجتماعية عند دخول الوالدة (النفساء) للحمام كانوا يكسرون لها (بيضة)عند منطقة الريشه الخارجية، وذلك من العين والحسد.أمَّا عند البِركة الداخلية فعادة ما يوضع داخل المزاهر الرياحين والشذب ، والتي يعتقد أن لها قوة الحرز في رد العين والحسد ، وتظل النفساء طوال فترة الأربعين يوم مرتدية عقد من حبات المرجان الكبيرة الحجم لحفظها من الحسد والعين (صورة 3)، لكن لا يوجد احتفال للوالدة داخل الحمام ، فقط يتم الاعتناء بها والتدليك بالمراهم والزيوت لإزالة الماء الزائد في جسمها ، وعند دخولها الحمام يزغردون لها، بالعادة تكون مواضيع الأحاديث في الحمامات عامة، وأحياناً اذا صادف وجود أناس غير متفاهمين فيكون مناسبة إما لأشعال فتيل الكلام للتصفية بين الأطراف أو الصلح بينهم، لكن ما يميز مواضيع الحمام على الأكثر (الخاطبة)، فلا يوجد خاطبة بالمعنى الحرفي بل تقوم الحمامية بهذه المهمة، حيث يستعين النساء مثل والدة العريس او إحدى قريباته خالته أو عمته بسؤال الحمامية عن أحد البنات سواء من تعرفها أو حين تبحث على العموم، وعادة ما يكون التساؤل عن جمالها الشكلي كطول شعرها وبياض بشرتها، او هل يوجد ما يعيبها، أو بحسب ما يطلبه العريس من مواصفات يتم البحث عنها، وكل ذلك يتم بسرية شديدة، حيث أن الحماميات بالعادة لا يتجاوبن مع هكذا طلب إلا بعد ان يستوثقن من مصداقية طلب العائلة وسمعتها، لأنهم أصحاب مهنة ويخافون على سمعة مكانهم.

صورة (3): عقود المرجان التي تلبسها النفساء والعروس للحماية من الحسد والعين (www.theyemen.com/vb/t93208.html6.6.2016)

أمَّا بالنسبة لبث الشائعات فلا أفضل من هذا المكان في بث أي شائعة لكثرة مرتاديه من عامة الناس وبسطائهم ، ويكون هذا البث بين الزبائن فقط، بينما الملفت للنظر وفي أكثر من حمام عدم خوض الحماميين في بث الشائعات او الترويج لها فالصمت أو الحديث عن فوائد الحمام ونصائح الاعتناء بالجسم هو ما يشارك به الحمامي من تفاعل مع الزبائن، ولم يسجل في التاريخ القريب تصفية حسابات أو جرائم قتل داخل الحمامات في مدينة صنعاء كما ذكر في مدن اسلامية أخرى، أمَّا

السحر فمن المتعارف عليه في المدينة بهذا الشأن أن يُدفن السحر ، ويُعْقَد، ولم يكن يُصَب على مجرى أو يمر عليه، ويتحفظ غالبية الحمامية من توضيح هذه الصورة (السحر) بل يستنكرونها.

ومازال في حمامات صنعاء القديمة ما يشبه هذا التمييز بين الطبقات الموسرة التي قد تحجز الحمام كله ليوم خاص بها ، أو تحجز بعض الفراغات فيه وتسمى (الخلوة)، وهي بعكس (المساربة)، حيث يتشارك المستحم مع الباقين حوض الماء، لقد كان ارتياد الحمامات ملمحاً تقليدياً للطبقات الوسطى، فأغلب العائلات الموسرة كان لها حمامات خاصة، وملحقة بالمساكن أو تخص عائلات حاكمة أو من الطبقة الحاكمة، وقد يكون حمام المتوكل ومن تسميته وقربه من القصر يفسر ويؤكد وجود هذا النوع من الحمامات، بل لقد ذكر أندريه (ريمون: 1974)، ومما يجدر ذكره حرص بعض الملاَّك للحمامات واشتراطهم على المستأجرين استقبالهم للمتوضئين للصلاة ، خاصة للتجاور المكاني لأغلب هذه الحمامات بجانب المساجد، كما أن أغلب المنازل لم يكن فيها حمامات أو مياه جارية.(عبد الحفيظ: 2007).

دور اقتصادي: مَثَّل الحمام عقاراً هاماً يدر على مالكه الربح، ويخدم المجتمع كمنتجع أو مبنى صحي وترفيهي، يدخل كما يراه الباحث ضمن المنشآت الخدمية، فكان الأغنياء والعائلات الموسرة والولاة غالباً ما يشجعون الأعمال الخيرية ويدفعون من أموالهم في مجال إنشاء الحمامات نظراً للتكلفة الباهظة التي تتطلبها هذه المنشآت، والتي غالباً ما كانت تتحول إلى أوقاف دارة على إدارة وتنظيم ونظافة المساجد التي تجاورها والتي بنيت لأجلها الحمامات لتكون أوقافاً دارة عليها، وكانت الحمامات تجتذب الأغنياء والتجار وتقدم خدماتها التي كانت بطبيعة الحال تختلف سعراً وجودة مما يقدم للعامة، فقد يتم استدعاء منشدين ومغنين وموسيقيين ويحجز الحمام حصراً لهم لقاء مبالغ مالية مجزية، كان الحمام يمثل مركز لقاء للتجار، خاصة في الحمامات القريبة من سوق المدينة وسماسرها ، فكان الحمام من أنسب الأماكن التي تعقد فيها الصفقات التجارية.

وحقق نظام (الدَّوْل) أو التناوب في ارتياد الجنسين إلى الحمام وفق مواعيد ومواقيت معلومة الفرصة لتشغيل عدد أكبر من العاملين من كلا الجنسين ، مما حقق أرباحاً دارة على تلك الحمامات جعلت أسراً بكامل أفرادها يتناوبون العمل ويتعاهدونه في كافة مجالاته ، كما أن نظام تشغيل الحمامات ونوعية الوقود المستخدم، عمل على توفير في استهلاك المواد وإعادة تدويرها في تشغيل الحمامات ، كما دلت كثرت عدد الحمامات على مدى الأرباح الدارة منها اقتصادياً، لذا فقد عدَّها مصطفى (1988)، بأنها مؤسسة دينية صحية أولاً، واجتماعية بالدرجة الثانية، ويؤكد الباحث بأن كثرة الحمامات وقلتها في المدن كانت تتبع أعداد السكان فيها.

دور صحي وتجميلي: يعتبر الحمام مؤسسة صحية بالدرجة الأولى وعامل فاعل في المنظومة البيئية وإدارتها، ومركز تجميل، فالبيئة والصحة والتجميل أدوار اضطلعت بها هذه الحمامات بخدماتها ومرافقها التي لبت حاجات العلاج والفوائد الصحية، وحاجات النظافة والتجميل من جهة أخرى، فكان للحمام فوائده كما أن له مضاره التي صرحت الكثير من المصادر والمراجع بضرورة تلافيها، ونذكر منها ما يلي:

فوائد للبيئة المدنية: لم يكن الحمام في إنشائه وتوزعه على المناطق والحارات ذا غاية واحدة (الاغتسال والتطهر)، ولم يقتصر دوره على النظافة، بل تعداه لعدة أدوار منها الدور البيئي، فقد اعتمدت نظافة الحي (الأحياء في المدينة القديمة) التي يقع فيها مكان تجميع القمامة عليها كمادة وقود لتسخين الحمام، رغم أنَّ معظم الأدبيات (عبد الحفيظ: 2007) تورد استخدام الحطب وأغصان السمسم والقطن كمادة وقود، وتفضلها على استخدام كناسة الطريق **والزبل**، إلاَّ أنَّ واقع تقيد الحمامات بهذا النوع من الوقود لم يكن مرغوباً لغلائها ولبعد أماكن قطع الخشب والكميات الكبيرة التي تتطلبها عمليات التسخين، مما قد يؤثر على رفع أجرة دخول الحمام وبالتالي عدم استخدام الفقراء له.

لقد أثرت الحمامات بيئياً باستخدام هذه العوادم وإعادة تدويرها، فبعد استخدامها كوقود وحرقها يتم بيعها كسماد عضوي، ومن ثمَّ استخدامه كمونة ربط في مادة القضاض المستخدمة في البناء، كما أنَّ تواجد الحمامات وتوزعها في المدينة كان بمثابة صمام أمان لإحداث توازن في البيئة الحياتية، سواء في مجال النظافة أو من حيث المداومة عليها، فعوادم المدينة تستهلك كوقود لهذه الحمامات، وتساهم في استمرارية تشغيلها من جهة، ومن جهة أخرى نظافة شخصية لأفراد ساكنيها ومرتاديها، أمَّا من الناحية الوظيفية ، فتوزع الحمامات وانتشارها في كل حارة تقريباً جعل من السهل الوصول إليها، ووفرة استيعابية للمرتادين لها، كما أن استخدام الجنسين لها في نظام الدَّول عزز من شبكة انتشارها التي لم تكن عشوائية بل مدروسة ضمن حاجات المدينة ، سواء بقربها من المساجد، أو السوق في وسط المدينة بالقرب من السماسر، أو على أطراف المدينة.(عامر : 2012)

فوائد الحمام الصحية: ذكر الاستشفاء بالماء في التنزيل الحكيم بقوله تعالى: "أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب" (سورة ص : آية 44)، حين دل الله عز وجل نبيه أيوب عليه السلام على دواء دائه بالماء البارد، وهو ما أثبته العلم فيما بعد في فائدة الماء البارد لتقوية البدن ونشاطه ، ولعل المغتسل البارد إشارة وتعليم وعبرة من إيراد قصة نبيه أيوب في فوائد الاغتسال بالماء البارد كنظام علاجي وزيادة لنشاط الجسم وتدفق الدم وتنشيط عضلة القلب وتقويتها، وقد أثبتت العديد من الدراسات الحديثة بأنه يرفع نسبة المناعة لدى الإنسان بإطلاقه لهرمون قاتل للألم، والذي يلعب دوراً في تحسين المزاج وتنشيط الأعصاب الحسية في الدماغ، وينبه الجهاز العصبي، مما يساعد على سرعة ردود الأفعال ، كما أنه ينشط الغدة الدرقية التي تساعد في سرعة عملية التمثيل الغذائي وإنتاج الطاقة البديلة التي يستنزفها الإنسان وهو ما يؤخر ظاهرة التعب والشعور به، ويساعد في تنشيط غدة البنكرياس وزيادة هرمون الأنسولين في الدم مما يساعد على سرعة احتراق السكر في الدم ، ويُعد علاجاً للصداع يأخذ تأثيره العلاجي بين ثلاثة إلى أربعة ساعات، فهو يؤثر على الأوعية الدموية ويقلصها ، وبما أن سبب الصداع يكون عادة بسبب تمدد أوعية الدم في الرأس، فباستخدام الماء البارد يعتبر علاجاً مؤقتاً لأنه يقلص الأوعية الدموية ويخلص الإنسان من ذلك الوجع. (أحمد: 2014)

وهو من الناحية التجميلية الصحية يساعد في شد البشرة ومنع التجاعيد وتقليل تورم الجسم، كما يقوم الاستحمام بالماء البارد بخروج نسبة كبيرة من احتياطي كرات الدم الحمراء المختزنة بالطحال إلى الدورة الدموية والتي تساعد على زيادة نشاط وحركة وفاعلية الإنسان، ومن الفوائد التجميلية أيضاً للماء البارد أنه يقفل مسام الشعر، ويستخدم لعلاج تساقط الشعر إذا استخدم يومياً ويعطيه لمعاناً، ويساعد الحمام الدافئ الذي تكون درجة حرارة الماء فيه من 37-40 درجة مئوية إذا تم البقاء فيه مدة خمسة دائق في الاسترخاء للعضلات وتهدئة الجسم بأكمله، لذا فهو مفيد لمن يعاني الأرق وعدم القدرة على النوم أو حتى الإحباط ، إن الحمام بالماء البخاري يعتبر طريقة جيدة لعلاج حالات الغضب والثورة، وتساعد على تهدئة المستحم وإرخاء الجهاز العصبي ومسح الضغوط ؛ فقد كان الناس قديماً خاصة في اندونيسيا وماليزيا يضعون الذكور قبل ختانهم بضع ساعات قبل اكتشاف التخدير كمهدئ ومسكن قبل إجراء الجراحة، إن حمام البخار مفيد جداً لأنه يفتح المسام التي تفرز العرق وتخلص الجسم من السموم وتطهره. (أحمد: 2014)

أما الفوائد التجميلية التي يقدمها الحمام تندرج تحتها عدة أشكال منها ما يتعلق بالتدليك ومنها ما يتعلق بالأقنعة والدهون ومنها ما يتعلق بالجوانب المتعلقة بالرشاقة والوزن، ومنها ما يكون مخصصاً للعلاج الطبي الطبيعي ، ويعتبر التدليك (المساج) أحد أعم ميزات الحمام التي يسعى لها مرتادوه ويحرصون عليها، فقد كان الأولون يعلمون ما لفائدة التدليك من تأثير على صحة أجسامهم ، بل إنهم صنفوها إلى أنواع، حيث يذكرها الشافعي في كتابه " القول التمام في أخبار الحمام " بما نصه: **" وأما التدلك فإن الضعيف منه يحلل ويوسع المسام ويذوب الأخلاط ، والقوي منه يصلب الأعضاء ويحلل الرطوبات والمعتدل يجلب الدم إلى الظاهر"**. (الشافعي: 2000)

والجميل في الأمر أن خدمة التدليك لم تكن الوحيدة بل كان هنالك ما يسمى **بالتمريخ** - الدلك بالدهن- حيث يسد المسام وهو عادة ما يتم بعد صب الماء الحار على الجسم حيث يساهم في ترطيب الجسم ، وأحيانا يتم بعد صب الماء البارد ليرطب الجسم ويبرده ، يرى صاحب كتاب " الرشاد إلى ما وقع في الفقه وغيره من الأعداد " لأبن جميع المصري؛ بأن للحمام فوائد لمن أراد أن يزيد في وزنه (التسمين) حيث أشار لمن يريد تسمين نفسه بأن يدخل الحمام بعد الغداء بمدة لأن الدخول مباشرة أو حتى الاكل داخل الحمام مضران جدا، حيث يقول:" وقد يستعمل الحمام بعد الغداء فيسمن ، لكن يخشى منه انسداد المعدة، فليتحرز منها بالسكنجبيل" الزنجبيل ، ومن اراد التنحيف وخفض الوزن فليدخل على جوع ويطيل المكوث في الحمام، أما من أراد حفظ صحته فليدخل عند انهضام الطعام في معدته. (الشافعي: 2000)

يذكر ابن جُمَيع المصري صاحب الإرشاد بأهمية دخول الحمام كل جمعة وغسل الرأس كل أسبوع واستخدام المشط داخل الحمام لتقوية البصر، وينصح بترطيب أرض الحمام ليكثر البخار ويرطب الهواء على أن يرطب جسمه بالدهون ليرطب أكثر ويلين جلده ، ويذكر أبو سهل المسيحي عن كيفية ترطيب البدن برشه بماء حتى يمتلئ بخاراً رطباً ويستخدم الماء العذب متوسط الحرارة ويصبه على البدن بل وينغمس فيه إن أمكن، ويستمر في ذلك حتى ينتفخ الجسم ثم يصب الماء البارد مرة واحدة ويدهن الجسم بعد ذلك ، أما فوائد الحمام العلاجية فيندرج تحتها العديد من الأمراض المتعلقة بالمفاصل والصداع، فعلاج الشقيقة يصف المصري بأن علاج الشقيقة يكون باستخدام حمام بخاري للرأس، محلول في مائه دهن الفستق بقوله:" ومن التدبير العجيب للشقيقة أن يدخل صاحبها الحمام، ويكب رأسه على بخار الماء الحار ، ويستعط (يدخله في أنفه) بدهن فستق، فإنه يسكن الوجع من ساعته"، يروي سكان مدينة القديمة يتميز كل حمام في المدينة لعلاج مرض معين ، ففيما يذكر كبار السن من خلال البحث الميداني بأنَّ حمام الطواشي كان لعلاج الصدفية والروماتزيم والمفاصل ، وحمام محمود

كان للاسترخاء وتليين الأجزاء الخشنة من الجسم في الجسم، أمَّا حمام الميدان فكان لفَك العصبة والشد العضلي (الشافعي: 2000)

ففي حمام سبأ على سبيل المثال يقوم (صاحب الدلو) بصب المياه من الدلو بعد أن يمدد المستحم في الجزء الساخن من الحمام (الصدر) ، ويقف صاحب الدلو على ارتفاع قامته على منطقة السُرة بالضبط لتليين وعلاج البطن ، وحتى اليوم عادة ما يتواجد المجبرين أو المجارحين (الطب الشعبي) والذين يطلق عليهم باللهجة العامية (الممسدين) في داخل الحمام، سواء أكانوا مختصين في المجال أو من العاملين في الحمام نساءاً او رجالاً ، ولم تكن المواد والمراهم التي يتم التمريخ والدهن بها للمعالجة إلا من معاصر الزيوت والدهون التي كانت تعصر في المدينة .

وغالباً ما جاورت الحمامات المساجد والجوامع، وارتبطت بها بل وسميت أحياناً بإسمها، وأوقفت عليها الوقفيات، وظهرت حمامات أخرى لم تقترن بالمساجد بل كانت تخدم مسجدين في آن معاً.(الطاهر: 2005)، وأدى تعدد الوظائف للفضاءات وتقسيمها في الحمام تبعاً لتنوع وتعدد الوسائل والآليات بين النظافة الكلية (الاغتسال)، والنظافة الجزئية (الوضوء).

- **أدوات الحمام ومواده المنظفة والتجميلية التقليدية**

يتجهز المستحم ببعض الأدوات والمستحضرات قبل دخوله إلى الحمام البخاري، فبالإضافة لثيابه التي عادة ما يتم ترتيبها مع مناشف الحمام داخل (بوقجة) فإنه ياخذ بعض المستلزمات للتجميل والعلاج والصحة والنظافة، وهي كالتالي (بحسب ترتيب استخدامها في الحمام ذلك أن المنظفات والمواد الطبيعية تستخدم قبل مرحلة التكييس وبعد التعرق مرتين في منطقة الجزء الساخن جدا (الصدر) داخل الحمام:

- **تراب الروس (باللهجة الصنعانية):** ويستخدم لغسل الشعر، مفعوله مثل البلسم المنعم، ويستخدم أيضاً كقناع للوجه والجسم حيث يرطبه ويزيل الدهون وينظف المسامات ، وهو مسحوق لونه رصاصي أو بيج، ويسمى أيضاً (ترابه)، يبيض وينظف ويشد.
- **الغسل (الهرد):** أو الكركم ، وهي مادة نباتية صحية وجمالية، تنتمي لعائلة الزنجبيل (الأروماتيكا) ، ويعمل منه مستحضر تجميلي يستخدم في الهند والصين، وهي مادة تحارب التجاعيد، وتعالج تشققات الأقدام وخشونتها، ومفيدة لعلاج القشرة، ومعالجة البثور، وتفتيح البشرة والجسم، وإزالة البقع السوداء والنمش والكلف وتنعيم البشرة والقضاء على الالتهابات الجلدية.
- **السدر:** كان بمثابة الشامبو في الاستخدام لاكتسابه الرغوة عند مزجه بالماء، وله فوائد تكثيف الشعر وإزالة القشرة، ويقلل تساقط الشعر، وفي حالة استخدامه للجسم فهو يوحد لون الجسم ويزيل البقع والحبوب، وينعم الجسم اذا استخدم مع الحليب كمَقَشّر للبشرة.
- **الحناء:** تسمى بالحنة والرقان واليرناء والرقون والأرقان، عرفها المصريون القدماء واستخدموها لتخضيب الأيدي وصباغة الشعر وعلاج القروح والجروح، وهي مادة معقمة لفروة الرأس حيث انها لوعجنت ووضعت على فروة الرأس من أربع إلى ست ساعات فإنها تقضي على أي فيروسات أو تقرحات، كما أنها تعالج الجروح وتشققات القدمين.
- **الحجر الاسود (المدلكه):** وهي حجر ذو مسام اسفنجي (بازلتي) اسود ميزته تنظيف قاع القدم والكعب من الجلد الميت.
- **الباردي:** وهو سطل الماء أو الدلو، والمغرفه (باللهجة الصنعانية) هي الإناء الأصغر والذي يتم به صب الماء على الجسم، كان يصنع عادة من النحاس.
- **كيس الدلك:** كيس من قماش خشن يوضع في الكف ويدلك به الجسم، يتم استخدامه إما بواسطة المستحم أو (المكيس) لإزالة الأوساخ والبشرة الميتة من الجسم، ويكون بعد أن يتعرق الجسم وليس بعد ما ينظف الجسم بالصابون.
- **البُقشه (باللهجة الصنعانية تلفظ بوكجه):** وهي قطعة من القماش غير موحدة اللون، يتم خياطتها من القطع الزائدة، فتتخذ المظهر الغجري في توليفات الاقمشة المتنوعة التي به، وهي بالعادة من أقمشة قطنية، و يتم استخدامها للف الثياب للمستحم، وتستخدم ايضا للجلوس عليها عند تبديل الثياب.

- **سجادة الحمام:** وهذه السجادة ترافق العروس والنساء في العادة إلى الحمام حيث يتم فرش البوقجة وتفرش فوقها السجادة بعد الانتهاء من الحمام حيث يتم التبديل عليها والصلاة . والسجادة هذه بالعادة يتم تجهيزها للعروس مع جهاز عرسها.
- **القبقاب:** وهو عبارة عن حذاء خشبي مرتفع من 3-5 سنتيمتر، وبه وصلة جلد مدقوقة الطرفين، وكان يستخدم حتى فترة قريبة من أواخر القرن العشرين، وللأسف اختفى استخدامه.

مضار الحمام الصحية: ذكَّر الحكماء بمضار الحمام وحذروا منها ففي نص ما قالوه: " للحمام مضار وهي أنها تسهل إنصباب الفضول إلى الأعضاء الضعيفة وترخي الجسد وتضعف الحرارة الغريزية والأعضاء العصبية وتسقط الشهوة وتضعف الباءة" ومن المضار أيضاً ما ذكر نصه:" قال بعضهم وإياك أن تدخل الحمام وتخرج منه بجسمك عارياً وإذا أردت الخروج فأخرج إلى المسلخ متدرجاً، وأفرغ عليك ثوباً نظيفاً مبخراً واجتنب النساء يوماً وليلة ، وتكره المجامعة في الحمام لأنها تورث الاستسقاء وأمراضاً رديةَ ويكره أيضاً شرب الماء البارد عقيب الحمام والطعام الحار والتعب والمجامعة والأكل فإن ذلك جميعه مضر جداً انتهى"(الدميري: 1992)

ويذكر ابن سينا بضرورة تجنب الحمام على الامتلاء من الطعام والشبع لأنه يولد انسداداً في الكبد، ويذكر أبو سهل المسيحي بأن النوم أو حتى الرقود يضر في الحمام ويصفه بالرديء، حيث قال:" وينبغي أن لا يرقد في الحمام فإن ذلك مفسدة للقلب ، مهلك". (القول التمام: :93)، وهو ما يؤكده الطب الحديث حيث يحذر من زيادة مدة مكوث المستحم في الجزء الساخن عن عشرة دقائق حيث يكون مفعولها عكسي، لأن طول التعرض للماء الساخن يشعر المستحم بفقدان طاقته ويخلق نوعاً من الضعف الجسدي والإحباط، وبالنسبة لحمام الماء البارد فلا ينصح به لكبار السن او الرضع أو الصغار، ويذكر الحيمي ايضاً بأن الإكثار من دخول الحمام يسرع الشيب للإنسان.

دور ثقافي ، في الأدب: ظهر أدب الحمام في الشعر والنثر الوصفي وأدب الألغاز والغزل والمدح والذم ، فقد وصف الحمام بعض الظرفاء في أدب الألغاز بقوله: "وقد أظلتها سماء ذات نجوم ، لا إشراق لها ولا رجوم، وهي مركبة في فلك صحن استدارته وسكنت إدارته". وقال:" فهي على القياس جنة النعيم مبنية على لظى جحيم . لا خلود فيها ولا مقام. ولا تزاور بين أهلها ولا سلام. أنهارها متدفقة. ومياهها مترقرقة. والأكواب بها موضوعة. والنمارق عنها منزوعة".

وقد نال كل حمام في مدينة صنعاء نصيبه من نظم القصيد الذي يصفه باستحسان، فقد وصف زيد بن يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله بن المنصور بالله القاسم، حمام **سبأ** بقوله:

لله حمام له منَّة علىَّ قد نلت بها المطلبا
أصبحت مهموماً لبرد الشتاء ففرقتْ همي أيدي سبا

ويقول الحيمي من نظم شعره في حمام **الميدان** ما نصه:

قم من سيرك نحو القصر في عجل إن شئت صحة أرواح وأبدان
(...) إلى نيل ما يرجوه من فرح (...) في حمام ميدان

وقوله أيضاً في حمام السوق (**محمود**) ممتدحاً لطف الحماميين العاملين فيه، بقوله:

عجبت لخدام الدباس فإنهم كدر على سمط الملاحة منسوق
فكم (...) من خادم متلطف بحمام سوق يستقيم على سوق

وقوله في حمام (**شكر**) وهو شعر بنظم الجناس:

قد دخلنا (حمام شكر) فملنا لنعيم حواه من فرط سكر
فشكرناه بالذي كان منه ولهذا يقال حمام شكر

وقد ذكره الحيمي مع حمام **الحميدي** بقوله:

عليك بسفح صنعاء كم دباس إليه بها هُبِلت تمد أيدي
فتشكر فيه "شكراً" عن يقين ونحمد فيه حمام "**الحميدي**"

كما وصف المغطس الذي اشتهر به حمام **الطواشي** بقوله:

إن المغطس قد راق بحمام طواشي
فلكم كف من الآلام جماَ وطوى شي

وقال الأديب محمد بن اسماعيل الأمير في حمام **الجلا**:

دخلت حماماً به كل زحام وامتلا
صدَّع رأسي فلذا سمي بحمام الجلا

ويذكر الحيمي أيضاً بحدث أخاف أهل صنعاء اليمن المحروسة، وكان فيها حمام يسمى **الجلا**، فقال:

صنعاء غدت دار خوف من طوارقها وصار حمامها بالنار مشتعلاً
فلن ترى قط في ساحات مرابعها من المحاسن إلاَّ خايفاً وَجِلاَ (الحيمي: 1986)

في الغناء والرقص: كان الحمام مصدر ترفيه وثقافة ترويجية ، فقد كان يرتاد الحمام بعض العميان المنشدين ، وأحياناً معهم آلاتهم الموسيقية للغناء وتسلية الحاضرين، وقد يخطر على بال أحد الزبائن الظرفاء أن يغني وسط الحمام ، ويتم ذلك في العادة داخل منطقة الأوسط أو الصدر ليستدروا أكبر كمية من العرق عند رقصهم.

وللحمام اليمني في صنعاء القديمة مراسيم اجتماعية خاصة، تعطي لزيارته نكهة متفردة، فمن ضمنها رقصة يقوم الرجال بها داخل الحمام لإستدرار العرق وهي كالزامل اليمني، من أشهر ما يقال فيها:

وأنت يا قشر يا حالي قد لقموه في الدلالي وأسكبوه في الصياني وأشربوك الرجال

لم يبق في ذاكرة الحمام الحديثة أغاني مميزه ، فمعظمها تلاشى مع مرور الزمن وتقادم السنين، إلاَّ أن أثراً من أغنية زفة الحمام ، بقي في ذاكرة التراث الغنائي ، والذي احتفظ بها فنانين حفظوا تلك الأغاني التراثية ورددوها بأصواتهم الجميلة ، ومنهم الأستاذه تقية الطويلية والتي تغنى عند استقبال أم العروسة ابنتها(الحريوه) بعد خروجها من الحمام، وتدخلها لمجلس البيت (الديوان) الممتليء بالضيوف ويطلق على احتفال هذا اليوم (يوم الغسل أوالنقش)، وهو يوم له مراسيمه التي تبدأ بذهاب العروس للحمام ، وتعود لبيت والدها ويقوم على شرفها حفلة غداء يتبعها جلسة غناء بعد الغداء يتم نقشها وتخظيبها بالحناء ضمن احتفال بين أقاربها وصديقاتها.

في آداب الحمام: ظل كثير من المسلمين منذ بداية الإسلام يتحفظون من دخول الحمام، وكان لابد من وضع حدود وشروط وآداب لدخولها بطبيعة الحال، فكان لا بد من تحديد سلوك عام للعامل والمستحم عند دخولهم للحمام فكانت الصورة والهيئة الآتية:

- **آداب الحمامي:**
- أن يقوم الحمامي بخدمة المستحمين .
- أن يكون ذو أخلاق لطيفة ويظهر بهيئة حسنة.
- أن يراعي نظافة الحمام مما يقع فيه من أوساخ من سدر وصابون.
- أن يكون جميع العاملين في الحمام يتصفون بالأمانة على أغراض المستحمين.
- أن يسلم المستحم أجرته للحمامي قبل أن يستحم.
- **آداب المستحم:**
- أن لا يتطلع على عورات الآخرين ويمعن النظر والتلصص عليهم.
- أن يحرص على ستر عورته، ويعاقب بأن لا تسمع شهادته إن لم يرتدع.
- شجعوا على دخول الحمام وقت الضحى، واستنكر الحكماء الدخول وقت المغرب وبين العشائين.
- أن يدخل الحمام برجله اليسرى .
- أن يدخل الحمام حين لا يكون مزدحماً.
- أن يذكر بحرارة الحمام حَّر جهنم ولا يسرف بصب الماء.
- أن لا يسلم على مستحم أثناء استحمامهم لانشغالهم بالتنظيف.
- أن لا يكثر الكلام في الحمام أو قراءة القرءآن.
- أن يخرج المستحم من الحمام بالتدريج بحيث يبرد أطرافه كلما خرج من جزء ساخن إلى جزء أقل سخونة وهكذا حتى يخرج من الحمام.
- أن يمكث في المخلع بعد الحمام مدة يتطيب فيها بالمسك والعود والعنبر ويلبس الثياب اللطيفة الناعمة.(الحيمي: 1986)
-

• المنظومة الإدارية والاجتماعية في حمامات صنعاء القديمة

النظام الاداري والاجتماعي:

كغيرها من المهن والحرف، كان للحمامات توجد طائفة تضم العوائل العاملة في هذه الحرفة وتتوزع المهام بينهم، مُنشئة نظاماً إدارياً واجتماعياً مهنياً له معاييره، وقوانينه التي يحتكم إليها وينظم أمور حرفته بها، فتمثلت هذه النظم بالآتي:

إدارة الحمام: تصنف مهنة الحمامي في قانون صنعاء ضمن أهل الحرف والمهن، ويوجد (عاقل) يمثلهم كطائفة مهنية، ويقوم على إدارة الحمامات عوائل توارثوا المهنة أباً عن جد، ومعظم نسب تلك العوائل يعود لأصول تركية، من أبرز تلك العائلات التي تعمل في هذا المجال إلى اليوم هي: عائلة اليمني، عائلة القفيلي، عائلة الحمَّامي، عائلة وردة، عائلة جحوش، عائلة الصدِّيق ، عائلة الرفيق ، عائلة الثعلي، عائلة بيت جابر، والجدول التالي يوضح أسماء الحمامات والعوائل التي تديرها جدول(1)، وهذه العوائل توزعت مهامها في إدارة الحمام عبر أجيال طويلة تصل إلى مئات السنين، تناوب على العمل فيها أنه لا يوجد حمامات خاصه بالرجال وأخرى للنساء، بل يوجد نظام التناوب بين الجنسين في استخدام الحمامات، ويسمى بنظام (الدَّول) وعليه تتوزع أيام العمل والوقت في تناوب الرجال والنساء على إدارة الحمام ، ويعمل داخل الحمام في اليوم من سبعة إلى عشرة أشخاص، وقد يصل في أيام الإزدحام آخر أيام الأسبوع أو العيدين إلى واحد وعشرين عاملاً، وقد يبلغ عدد أفراد العائلة الواحدة التي تدير الحمام إلى ستون شخصاً يتناوبون العمل بين فترتي (الدَّول) .

عادة عند تغيير الدَّول في الحمام يكون التنبيه بتعليق ستارة من الجوخ للرجال أو الستارة الصنعانية الملونة ليعرف مرتادين الحمام بأنه وقت تواجد النساء ، وأنَّ الحمام مفتوح لاستقبال النساء، خاصة إذا كانت زفة عروس في الحمام.

الجدول (1): أسماء الحمامات والعوائل التي تديرها في مدينة صنعاء القديمة.

اسم الحمام	اسم العائلة التي تدير الحمام (2015)
حمام الأبهر	عائلة صِدّيق وعائلة الرفيق بالتناوب.
حمام الميدان	عائلة الحج علي الحمامي جَحْوَش.
حمام شُكر	عائلة جابر
حمام الجلاء	زوجة الرحومي
حمام السلطان	عائلة الثَّعْلِي
حمام الطواشي	محمد أحمد معيض.
حمام ياسر	عائلة الحجام.
حمام الحُميدي	عائلة اليمني.
حمام السوق	عائلة وردة وعائلة جَحْوَش
حمام سبأ	عائلة محمد علي جَحْوَش

ويتغير الدَّول المتعارف عليه في استخدام الحمام بين الرجال والنساء والذي عادة ما تُكتب مواعيده عند المدخل، يتغير في مواسم الأعياد حيث تكون النساء أكثر استخداماً من الرجال في هذه الفترات بالأخص، لذا توضع هذه الرموز والاشارات من ستارة الجوخ الحمراء أو وضع غلام أمام الباب اتنبيه الداخلين.

العمالة في الحمام: يذكر الحيمي في وصف خادم الحمام ووظيفته بما نصه: " الحمَّام يحتاج وجود حمَّامي أي خدأَم فيه فما فوق، يقوم بمؤن من يريد الاستحمام من تغمير وتكبيس وصب للماء ونحو ذلك، مما تدعو إليه الحاجة، وينبغي أن يكون ذلك الخادم ذا صورة حسنة، وشمائل لطيفة مستحبة، لطيف الذات، حسن النظم وإن باشر لخدمة فبأيدي لطيفةَ الخلقة، رطبة الملمس، لأنه طالما لامس أجساد المترفين التي لا تألف إلاَّ الناعم من الثياب وغيرها ". (الحيمي: 1986)، ويذكر الكوكباني في شروط القيِّم على الحمام ومن يخدم فيه، في القرن الثاني عشر الهجري، ايضاً ما نصه:"ويكون الخادم حسن الهيئة وذا أخلاق لطيفة"، ويُصنف العاملون في الحمام بحسب العمل الذي يقومون به إلى التالي:

الحمامي (المعلم): وهو المسؤول عن إدارة الحمام في ذلك اليوم وتعيين مهام العاملين والإشراف عليهم، وحفظ أغراض المستحمين في صندوق الأمانات، وتلقي الأجور ، وترتيب الحجوزات في الحمام، ويقوم ببيع بعض أدوات الإستحمام من مناشف وفوط وليف وأكياس، وسدر وتراب الروس والصابون ، وبعض المرطبات والمشروبات الباردة .

المِرَزّمْ: هو المُدَلِك ويسمى (**المِرَزّمْ**) - باللهجة الصنعانية - وهو الذي يقوم بعملية المساج والتدليك، سواء التدليك الطبي أو لغرض الاسترخاء، وعادة ما يقوم بعمله في غرفة (**الصدر**) وهي المنطقة الساخنة من الحمام، أو في غرفة (**المخلع**) مكان تبديل الثياب قبل خروج المستحم، وبعد أن يكون قد أخذ الحمام، ويأخذ أجراً إضافياً منفصلاً عن أجرة الحمام، وبحسب إكرامية المُستَحِم.

المكيِّس: وهو الذي يقوم بفحس (تليف بدون صابون) كافة أجزاء جسم المستحم بالكيْس الأسود لإخراج البشرة الميتة عن الجلد بعد التعرق، ومن ثم تليف الجسم بالصابون أو تراب الروس بعد التكييس، وهو أيضاً يتلقى أجرته بمعزل عن أجرة الحمام، ويتم استدعاؤه بحسب طلب الزبون، وكان اهتمام (المِكَيس) بالزبون على قدر ماله (المعاملة على قدر الزلط)!، ومن المتعارف عليه في الحمامات الصنعانية أن يستدل على المُكَيِس بعرضه على المستحمين خدمته عند دخول المستحم للحمام ، وعادة ما يتواجد ثلاث إلى أربعة مكيسين في الحمام في نفس الوقت، وعادة ما يستلم أجرته بنفسه، او توضع لدى الحمامي عند خروج المستحم من الحمام.

المناول: أو مساعد الحمامي، وهو الشخص الذي يقوم باستلام الفوط من المستحمين،وغسلها، ويناولولهم الثياب أو المناشف، ويعطى إكرامية بحسب ما يرغب به المستحم.

المصفِّي: وهو الذي يقوم بنقل دلال الماء ليصطفي بها المستحمين ويغتسلون بها، ويدعى أيضا بصاحب الدلو؛ حيث يقوم بحمل الدلو المملوء بالماء البارد ليغسل اقدام الداخلين للمخلع، ويطلق عليه أحياناً (صاحب السيخ) لأنه يحمل سيخاً لفتح حنكات (رأس) الأنابيب حتى يسيل الماء الساخن نحو الجرن (حوض المياه البازلتي الذي يستحم من الماء الذي يحتويه لكل مستحم)، وهو الذي يرافق المستحمين عند خروجهم من الأوسط وقد أتموا استحمامهم، ليصب الماء على اقدامهم قبل دخولهم للمنطقة الجافة من المخلع، كما أنه يقوم بحمل الدلو ويتفقد المستحمين إن كان يحتاج أحدهم للمياة ، أو يسعفه بالمياة إن حدث له اعراض دوار من سخونة الحمام، كما أنه يقوم بصب الماء البارد للمستحمين في خزانة المصفى المظلمة، ويُعطى إكرامية من المستحم بحسب رضاه.

هذا بالنسبة للمهام التي تقوم على خدمة الزبائن مباشرة، لكن هنالك ومهام ووظائف أخرى يقوم بها عمال الحمام، تختص بإمداد الحمام بالوقود وتخزينه، وإحضار المياه إلى (**الدست**) المستوقد، وملء الخزانات. **والزّبال؛** الذي يقوم بتجميع الوقود من المخلفات في شوارع الحارات وفصلها، وتجفيفها.

وتشيع مصطلحات في الحمام باللهجة العامية لأهل صنعاء من مثل (يَرْزِمُه) يقوم بعمل مساج لجسمه، (خلوة) وتعني استفراد الشخص بخزانه ليستحم وحده، وكلمة (مُسَارِبَة) وتعني أن يستخدم الخلوة أكثر من شخص أو حوض الماء في نفس الوقت، فحين يدخل الشخص، عادة ما يتوجه للحمامي ليحدد طلبه خلوة أو مساربة، والتي يتحدد على أساسها سعر الاستخدام فالأولى أغلى بقليل من المساربة، وقد يكون أحد العاملين في الحمام، ينشد ويغني للمستحمين، ويعتبر وجوده محكوم بمناسبة ما (حالة عرضية).

كان الحمّامي يمارس مهنته بالإضافة لأعمال المقهوي، حيث بالعادة كانت تلحق بالحمام قهوة خارجية لزبائن الحمام والزبائن العاديين، وللأسف اختفت بعض المقاهي كاللتي كانت تابعة مثلاً لحمام (السوق) وتحولت للأسف إلى مخازن وحوانيت، لكن مازالت هذه العاوئل تُكِن احتراماً وإلتزاماً لمهنة الآباء التي لا يستكفون من المشاركة والعمل فيها، والتناوب على أعمالها بأعتبارها مصدر رزق يُقَدِرونه لأنه سبب وصولهم لتلك الأحوال، وهو أمر مثير للتقدير حقاً، ولا زال مبدأ توارث المِهْره (المهنة) يتك إيكالها للإبن أو الإبنة البكر في العائلة ليباشروها ويوزعون المهام ويديرونها.

صيانة ونظافة الحمامات: يتم تنظيف الحمام بشكل دوري كل أربع إلى خمس ساعات، أثناء تواجد المستحمين، وبعد استخدام (الخلوة) لكل زبون يدخل المنظف لتنظيف الحمام، وصيانته بطريقة سريعة، أمَّا التنظيف الأساسي للحمام فيكون بعد تغيير الدَّول من الرجال للنساء والعكس.

أمَّا صيانة الحمام فتتم سنوياً بإعادة عمل طبقة الإلساء للجدران والأسقف بحسب الحاجة، كما يتم تنظيف وصيانة شبكة المواسير الموصلة من الدست، وتنظيف الدست ، أمَّا صيانة الحمام وخاصة الدست فتتم حين يتقطع الماء أو ينزل من الصنابير وبه وسخ، فيتم فتح وثقب غرفة الدست بعد تفريغها من الماء، وينظف الدست جيداً مع الغرفة (الخزان) والمطلي عادة بالقضاض من الداخل، ثم يتم إعادة بناء الثقب الذي دخل منه المنظف، وتُعزل الغرفة مجدداً.

الرقابة على الحمامات: عاقل الحماميين (المحتسب) هو من يقوم بالرقابة على الخدمات التي يقدمها الحمام وإليه تُرد الأمور في حالة وجود شكوى أو مشكلة حدثت في الحمام فكما ورد في كتاب قانون صنعاء والذي كان معمولاً به في القرن الثاني عشر الهجري زمن الإمام المتوكل على الله القاسم بن حسين ، والذي احتوى النظم الاجتماعية وتقرير أجور العمال؛ الضمانات اللازمة للحمامي بما نصه: "يضمن ما ذهب في مخلع الحمام بعد تقرير ذهابه فيه، وما ذهب داخل الحمام مثل طاسات الحمام ومن حلية النساء التي يدخلن بها فليس على الحمامية إلاَّ فتَّاش – تفتيش – النسوان التي في الحمام عن إعلامها بذلك وافتاء جميع أداتهن(ثيابهن)، وإذا لم يحصل منها افتقاد أداة (ثياب) النسوان أو تساهلت فهي ضامنة، وإذا حصل الترخيص من الحماميات للنساء في كشف عوراتهن كما تقدم استحقت الحمامية والحمامي الزجر والأدب والحبس"(السياغي: 1371ه).

ويحدد مسؤولية ومهمات الحمامي في تنظيف الحمام " مما أراقة المتحمم من السدر والصابون ويكون ترك هذه الأوساخ وغيرها على الأرض خطر كبير على المرتادين"، ولا يضمن القيم على الحمام الأشياء الضائعة في الحمام إلا بشرطين؛ أولهما أن يكون قد حفظ عند القيم (الحمامي)، وثانيها؛ أن تكون قد تركت في المكان أو الموضع المعتاد لها فيكون العاملون في الحمام بمثابة الضمناء لها.

في الوقت الحالي لا توجد رقابة على الحمامات حيث أنَّ الرقابة تقع على القائمين على الحمام، وهي المعمول بها، فالزبائن هم من يمثل هذه الرقابة بحسب الخدمات التي يتلقونها ، ويحرص الحمامي على تلبيتها كي لا يخسر مصدر رزقه ، فعدد الحمامات وسوق التنافس هي من يفرض هذه الرقابة والمتابعة حالياً ، والتي تقوم بها إدارة هذه الأسر بتجديد الطلاء ، وترميم الجدران، والحفاظ على نظافة ومتانة البناء، وتنظيف الخزانات، وتعهد الوقود وتخزينه وتوفير المياه.

أمَّا بالنسبة للدفع الضرائب على الحمامات فهي لا تخضع لنظام الضرائب حالياً لأنها تعامل كوقفيات خيرية تستخدم خدمات ضرورية لكل أفراد المجتمع، يتم تسليمها للحمامي الذي يدير الحمام، ويعمل على صيانته وتجديده فأجرة إستخدامها تعتبر رمزية وزهيدة. (عامر: 2014)و (يسر:2004).

- **الاستثمار في مشاريع إعادة إستخدام الحمامات البخارية**

يعتبر الاستثمار في هذا المجال مربحاً، فمازال للحمام إقبالٌ بين سكان مدينة صنعاء القديمة وخارجها، ويتوقف عدد الزوار المستحمين بكثافة على عدة عوامل منها؛ حجم الحمام، قدرته الاستيعابية، أو موقع الحمام، والأيام التي يرد فيها الرجال أو النساء من أيام الأسبوع والتي تشهد كثافة في آخر أيام الأسبوع ، وأيام الأعياد أو أيام المناسبات، والتي قد تجعل إدارة الحمام تمدد وقت العمل.

فمثلاً حمام الطواشي وهو حمام متوسط في مساحته، يستوعب ما بين خمسة عشر إلى ثلاثين شخصاً، بينما حمام سبأ وهو أصغر مساحة منه قد يتواجد فيه من ثلاثين إلى خمسة وثلاثين مستحماً، ويرجع ذلك لإدارة الحمام ، وعدد العاملين فيه من (البدنة) الذين ينظمون سير العمل داخله ومستوى خدمة الزبائن فيه، وبحسب المعلومات التي زودنا بها عاقل الحماميين في المدينة السيد محمد اليمني، فمتوسط دخل الحمام يومياً، يتراوح بين عشرين ألف ريال يمني (100$)إلى مئة ألف ريال (500 $) أي صافي ربح بعد استقطاع الكلفة التشغيلية، مما يجدر ذكره هنا أن الحمامات تابعة لوزارة الأوقاف، لأن أغلب الحمامات هي بالأساس أبنية وقفية، لكن دور الأوقاف ينتهي بتلقي مبالغ رمزية كإيجار من العائلات التي تدير تلك الوقفيات، وتتوارث العمل والإدارة فيها، وتتراوح ما بين ألف ريال (5$)إلى عشرين ألف ريال (100$) سنوياً، وذلك حتى تكون أجرة الحمام صغيرة قابلة للدفع من قبل جميع سكان المدينة، يعمل الحمام طوال أيام الأسبوع وبحسب موقع وحجم الحمام، فإنَّ متوسط الدخل اليومي للحمام حوالي ستة عشر ألف ريال (74$) ، وفي الأسبوع مئة وعشرة ألف ريال (550$)، أي في السنة خمسة ملايين ونصف ريال (6000$) هذا في المتوسط ، ويستقطع منه الكلفة التشغيلية.

هذا الدخل لا يشمل الدخل الذي يقوم العاملون بتلقيه من الزبائن لقاء التكييس أو التدليك، فالمكيس قد يصل دخله اليومي ما بين خمسة إلى سبعة آلاف ريال ($30)، وهو عُشر المبلغ الذي يتحصل عليه الحمامي الذي يأخذ يومياً عشرة أضعاف المبلغ ، لأن المكيس لا يأخذ أجره من كل مستحم بل ينتظر حسب طلب الزبون، ويذكر السياغي 1952م- 1371هـ في قانون صنعاء بأنه تمَّ تعيين أجرة الحمامي بمبلغ – وقتها- بقشة واحدة من الريال للنفر، وفصلوها عن أجرة المكيس والذي عينت بمقدار بقشة ايضاً للنفر خارج حساب الحمام، وتسلم للمكبسِّ، وقيمة البقشة ما يعادل المئة ريال اليوم (0.50 $).

- **التصميم المعماري لحمامات صنعاء القديمة**

كان لابد لمباني الحمامات أن تلتزم بشروط ومعايير معينة كي تنجح عملية تشغيلها، وبسبب حالة التنافس فيما بينها، فأوفاها شروطاً أكثرها ارتياداً وزبائناً ، لذا كانت المصادر القديمة لا تفتأ تذكر تلك الشروط وتدعو لها، منها ما ذكره الحيمي بأنه من شروط بناء الحمام: "أن تكثر التلافيف في دهاليزه، ويحكم طبق أبوابه لتدوم الحرارة ، وينبغي أن يصان من الغبار والدخان، ولا يفتح بابه من جهة الجنوب، وأن تكثر المنافذ وتستر بالزجاج والبلور لأجل الضوء ، وأن يفتح في زمن الحر، لفصل ما انعقد من البخار وتلطيفه، ويعاهده قيمه (القيم) بإصلاح ما فسد بالبخورات الطبية وتنظيف وإزالة ما مكث من الماء في الأباريز وهي الحيضان لئلا يفسد ". (الحيمي: 1986)

لم يختلف تصميم الحمامات البخارية التقليدية في مدينة صنعاء القديمة عن تصميم الحمامات العربية والتركية إلا في بعض التفاصيل الصغيرة، من ناحية مواد البناء أو من ناحية عدد الفراغات المستخدمة عدا ذلك، فالحمام شمل الإجراءات الرئيسية الثلاثة التي تمثلت بجزء تبديل الثياب، والجزء الدافئ والجزء الساخن والمسبوقة بمدخل منكسر.

أنواع الحمامات: الحمامات في مدينة صنعاء القديمة يمكن تقسيمها بحسب تخطيطها المعماري إلى نوعين ، النوع الاول كان سائداً منذ القدم ، أما النوع الثاني فظهر في فترة لاحقة من تاريخ المدينة وذلك لسببين، أولاً زيادة عدد السكان، والسبب الثاني شجع العثمانيين على انتشار الحمامات البخارية، وتأثير الطراز العثماني الذي أدى لتطور النوع الثاني من الحمامات؛ فظهر التخطيط العام للحمامات وتطور إلى نموذجين:

- **النوع الأول: حمامات صنعانية قديمة:**يحتوي المسقط الأفقي على غرفتين ساخنة وغرفتين معتدلة الحرارة وغرفة التبديل والمدخل المنكسر، مثل حمام ياسر وحمام سبأ.
- **النوع الثاني: حمامات متأثرة بالطراز العثماني:** هذا النوع من الحمامات تمَّ إضافة حجرة للمنطقة الساخنة وأخرى في المنطقة المعتدلة لتصبح ثلاث غرف لكلاً منها.

إضافة لذلك فإن ردهة الانتظار اتخذت مساحة أوسع ، تتوسطها نافورة (شذروان) داخل بركة مستديرة أو مضلعة، وتنتشر على طول حوائطها الداخلية منصات مرتفعة (دكة) للجلوس عليها.

وتميزت واجهات ومداخل الحمامات بالبساطة وعدم الزخرفة، وضيق المدخل، ومما يلفت النظر أيضاً ان توجيه مداخلها يتناسب مع إتجاه حركة الرياح حيث أنَّ معظمها ذات مداخل لا تواجه تيارات الريح الباردة كي لا تؤثر على المستحم عند خروجه من الحمام، فهي لا تواجه الجهة القبلية أبداً(جهة الشمال).

التدرج الحراري للحمام: يبدأ التدريج الحراري من البارد في منطقة المخلع ، يليه المخرجة ، ثم الدخول إلى الأوسط وهو الجزء الدافئ، مع الخزانتين الملحقتين به عادة، ثم الصدر وهو الجزء الساخن من الحمام مع الخزانتين الملحقتين.(الشكل 1)

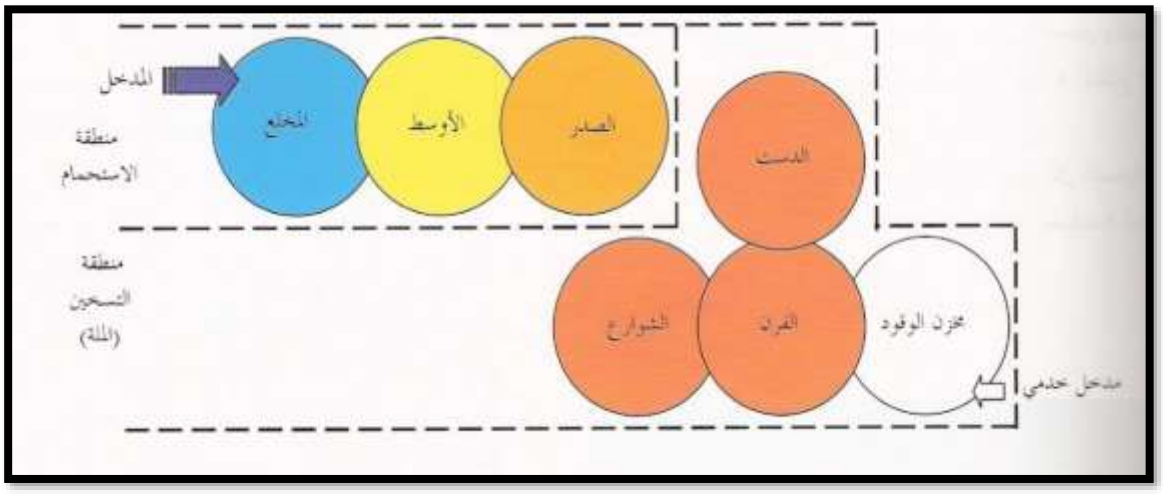

شكل(1): التدرج الحراري والاقسام الوظيفية للحمام (الطاهر: 2005)

الهيكل الأساسي لتكوين الحمامات: تنقسم فراغات الحمام إلى قسمين رئيسيين:

- **القسم الأول(داخلي):**ويشمل منطقة الاستحمام وهي مكونة من المخلع والأوسط والصدر.
- **القسم الثاني (خارجي):**ويشمل منطقة التسخين وتسمى(المِلّة)، يوجد بها غرفة الدست، وهو الإناء النحاسي الذي يملأ بالماء ويتم إيقاد النار تحته، والفرن (الموقد)، وهو عبارة عن ممرات تحت الحمام عادة نافذة إلى الدست الذي يسخن المياه، وتنتقل إلى تحت الصدر لتسخن أرضية المكان. الشكل(1 ، 2)

شكل (2): التدرج الحراري والأقسام الوظيفية للحمام المسقط الأفقي والمقطع الطولي لحمام شُكر(الطاهر: 2005)

في القسم الأول(داخلي): من الهيكل التكويني للحمام الصنعاني نجده يحتوي على الفراغات الوظيفية التالية:

- **المدخل المنكسر (المجزع):** يتم الهبوط إلى الحمام عبر مدخل منكسر يفضي إلى درج حجري كي لا يواجه المستحم الخارج من الحمام تيار الهواء مباشرة ، وكون الحمامات معظمها تقع تحت مستوى سطح الأرض للشارع، وهو ميزة تفردت بها الحمامات في مدينة صنعاء القديمة.
- **الريشة**: هي الدكة أو المصطبة التي يجلس عليها المستحم ليرتاح بعد الاستحمام وقبل خروجه من الحمام، وتستخدم كفاصل حراري يجلس عليها المستحم بعد خروجه من دفء الحمام إلى برودة خارج الحمام.

وتنقسم الريشه إلى ريشة داخلية، وريشه خارجية، وكلاهما يحتوي في الفراغ الذي يشغله دكة للجلوس، وسُميت بالريشه لخفة الهواء الذي يمر فيها، وينعش الجسم كي يتكيف بروية مع الاختلاف الحراري بين داخل الحمام وخارجه، وبالتالي يجنب المستحم حدوث صدمة البرد.

- **المخلع: و** يلي المدخل قاعة تغيير الثياب والاستراحة ، وتسمى (المخلع) وهي الفراغ الوحيد الذي تفرش أرضيته الحجرية عادة بالحصير، كونه الجزء غير الرطب في الحمام ، ويكون السقف في الغالب على شكل قبة محمولة في أركانها على حنايا ركنية، وتتخلل جدرانها (كوى) فتحات مجوفة لوضع الأغراض ، وأحياناً تتوزع على طول حوائطها (دكك) للمساطب حجرية مبنية، للجلوس عليها، ومعالق أوتاد خشبية على الجدران لتعليق الثياب، ويوجد في أحد زوايا هذه القاعة ركن جلوس (الحمامي) ليتابع الحمام، ويحافظ على صندوق الأمانات الذي يشرف عليه مباشرة، وعادة ما يستحب زخرفة هذه الغرفة لمكوث المستحمين فيها للراحة والاسترخاء بعد الحمام، في معظم الحمامات توجد نافورة (شذروان) يتوسط الريشة و(المخلع).

يصف الحيمي هذا الجزء وأهميته في الحمام من حيث وضع التصاوير الجميلة بما نصه:" وينبغي أن يكون مسلخ الحمام – أي مخلعه الذي تخلع فيه الثياب عن الأبدان – لطيف الصنعة واسع الفضاء، وأن تكون فيه التصاوير من الصور اللطيفة الأنيقة (مثل عاشق ومعشوق ومثل رياض وبساتين فيها أشجار وأزهار وكالأشكال الحسنة ونحوها [ومثل صور الوحوش، فإن مثل هذه التصاوير تقوية بليغة لجميع قوى البدن الحيوانية والطبيعية والنفسانية، فلأجل ذلك تحصل الراحة بالنظر فيها عند الإتكاء وقد حلل الحمام القوى لأن المسلخ إذا كان كذلك، كان موافقاً للقوى الثلاثة لأن التحليل واقع فيها بما فيه مما ذكر، فالأشجار ونحوها للنفسية، والأسلحة للحيوانية، والثمار للطبيعية، فلا شك أن الحمام أخذ من القوى حلالاً بلا لبس، خصوصاً إذا طال المقام فيه، والنظر في الأشياء المذكورة منعش مقو هكذا قال الحكماء).

الكنيف: وهو بيت الراحة أو دورة المياه والذي يكون عادة بين المخلع والأوسط، كما يطلق عليه تسمية (المستراح).

المخرجة: يتبع جزئية المخلع وهو بمعنى الممر أو الدهليز الذي يفصل بين الجزء الدافئ في الحمام ومنطقة (المخلع)، وفي بعض الحمامات يتواجد فيه حوض مائي ضحل ليغمر المستحم أقدامه قبل الخروج ليطهر قدميه من الحمام.

الأوسط (الجزء الدافئ): يتبع المجزع القسم الدافئ من الحمام ويسمى ب (الأوسط) وعادة ما يشكل قاعة ذات مساطب وأحواض مائية، وهي ذات أسقف برميلية أو على شكل قبة، وتكون درجة الحرارة في هذه الأجزاء دافئة ، ويتم الاغتسال الأخير فيها حيث (يصطفي) يغتسل المستحم قبل خروجه للمخلع ، وأرضية الصدر وجدرانه من حجر الحبش الأسود ، وفي طراز معظم الحمامات الصنعانية يتصل بهذه الغرفة غرفتان أقل مساحة منها وأحيانا أربعةغرف، تسمى كل منها (خزانة)، وفيها يتم خدمة التدليك والتكييس والتلييف، وتتوزع داخل هذه الخزائن (دكك) للجلوس، وأحواض حجرية للماء، كان يتم ملؤها بالدلاء، وحالياً والان متصلة بشبكة أنابيب عليها صنابير للمياه الساخنة والباردة.

الصدر (الجزء الساخن): ويمثل الجزء الساخن جداً من الحمام ، ويتكون بالعادة من قاعة مسقوفة بقبة،تتوسط خزانتين، وتصدر الحرارة الشديدة عن أرضيتها الحجرية من الموقد وفي الجانب الآخر من جدار الصدر يوجد مباشرة غرفة الدست،

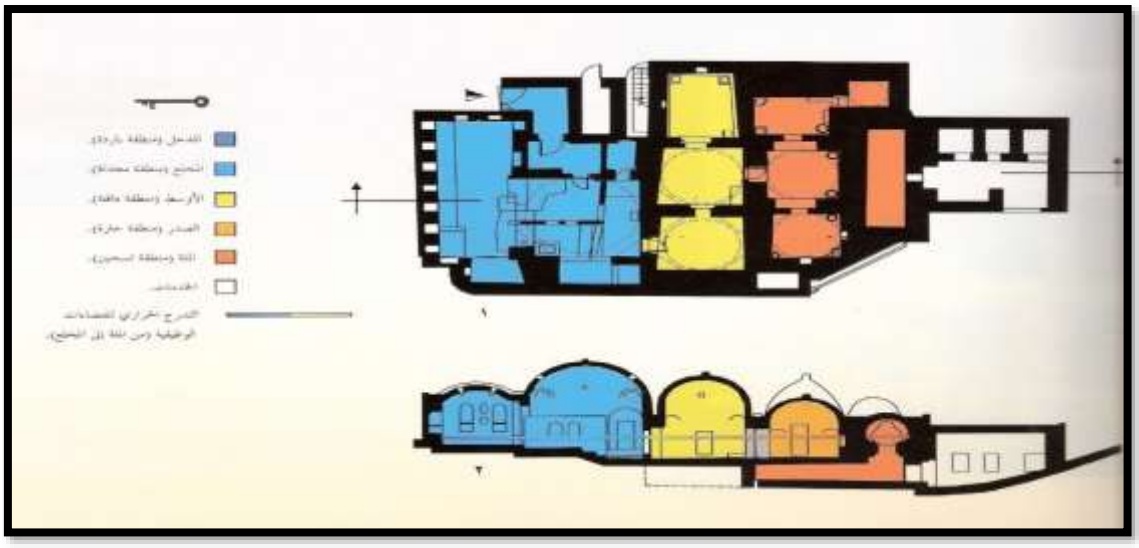

شكل (2): التدرج الحراري في الحمام البخاري. (الطاهر: 2005)

وتسخن جدرانها وترفع الهواء الساخن وتحافظ عليه وتعيده في أرجاء الحمام عن طريق حركة الهواء الداخلية ، وفيها يتم الجلوس والتعرق فقط، وعادة ما يكون ذا سقف بشكل قبة إن كانت قاعة وسطى، بينما الخزائن تكون مسقوفة بقبو برميلي، عادة ما تكون السقوف بها ثقوب مغطاة بالزجاج والأباستر بغرض الإضاءة، بينما تكون الحوائط والأرضية حجرية لحفظ الحرارة.

أمّا في القسم الثاني (خارجي): من الهيكل التكويني للحمام نجد الفراغات الوظيفية التالية:

المِلّة وهي تشمل الفرن والدست:

الدست : وهو مكان فوق الموقد ويسمى (الدست) وهو مفصول عن الجزء الداخلي من الحمام، حيث يتم تسخين أسفل الحمام، ويجاور هذه الغرفة غرفة الصدر مباشرة، حيث يملأ الخزان الكبير (الدست) بالماء ،والدست عبارة عن قدر نحاسي كبير مبني عليه بالآجر (الطوب الأحمر) ويفضي الماء الساخن منه لغرفة أخرى تسمى المغطس والذي توزع منه المياه الساخنة لكل خزائن الحمام .

الفرن:أو الموقد الواقع تحت الدست.

مخزن الوقود: هي غرفة تجاور الدست، وهي غرفة مستطيلة الشكل في مسقطها الأفقي حيث يتم تجميع الفضلات العضوية ، فهي مخزن للوقود.(الشكل 3).

الشوارع: وهي الممرات المتوزعة لأخاديد داخلية تحت صدر الحمام ، والتي يسري فيها ألسنة النار لتسخين الصدر والماء الموجود في الدست.

المضحى: هي مساحة فوق سطح الحمام،أو ساحة مجاورة له يُطلق عليها اسم (المضحى) أو (الملة) حيث تنشر الفضلات العضوية لتجفيفها قبل إحراقها كوقود.

عملية التصريف: يتم تصريف المياه عبر بالوعات خاصة بالحمام ، ولا يتم صرف مياه الحمام العادمة إلى المقاشم والبساتين لاستخدامهم لمواد التنظيف مما يُعدم صلاحيتها في الري. (الطاهر: 2005)، توجد مجاري خاصة بالحمام وهي قديمة جداً ، فهي تنزل في ممرات طويلة ذات ارتفاع يقارب المتر ونصف المتر أي قامة إنسان، وتمتد هذه الممرات تحت شوارع المدينة القديمة صنعاء، وتوجد بها فتحات للتهوية وهو يتجه باتجاه الشمال والغرب ، ولعل الشكل رقم (3) والذي يختصر ترابط فراغات الحمام وتقسيمه، يوضح هذه العلاقات الوظيفية بين فراغات الحمام ومسمياتها.(الطاهر:2005)

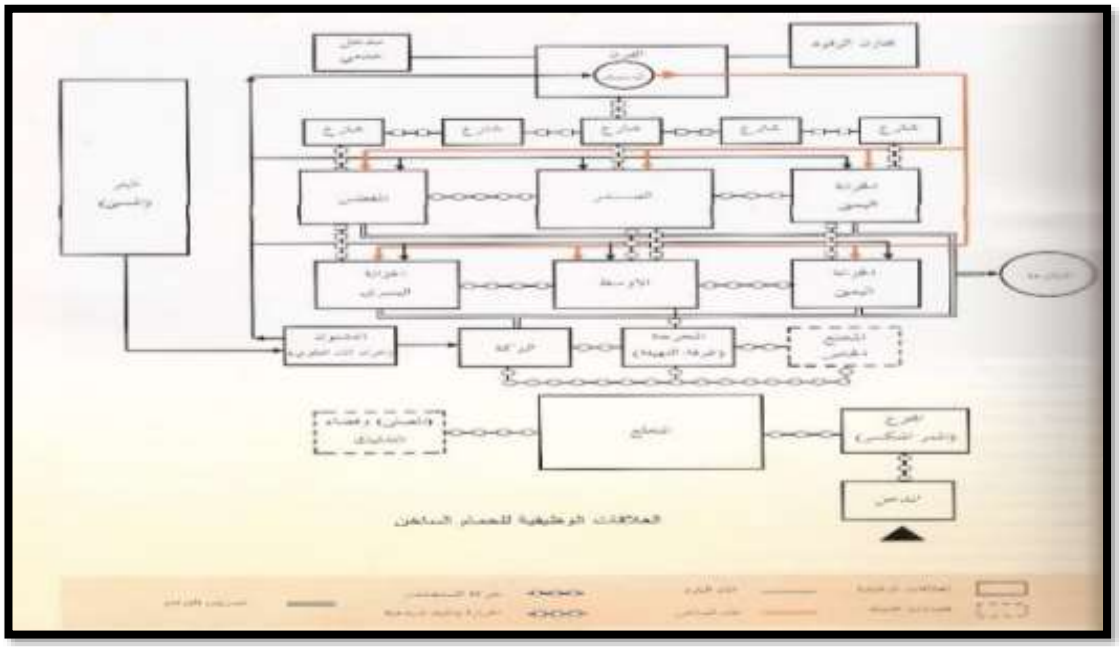

الشكل رقم (3) : العلاقات الوظيفية بين فراغات الحمام الساخن (الطاهر: 2005)

نظام الإنشاء والتسقيف لمبنى الحمام: نظام الجدران ونوعية البناء للحمام تشترك كل الحمامات في نوعية التسقيف الكتلي التي تتخذ في معظمها شكل القبة أو القبو ، ولعل تفسير هذا التقصد في استخدام هذين العنصرين المعمامريين في التسقيف هو بسبب الخواص التي تميز السقوف المقببة والمقباة، فلو ناقشنا المتانة مثلاً لوجدنا أن البناء التقليدي عادة ما يعتمد على الأعمدة الرأسية والأسقف الأفقية ، وعادة ما يتوزع وزن تلك الأسقف الأفقية على الأعمدة والجدران التي تحملها وتنقلها

بدورها إلى الأرض ، وكي يكون البناء متيناً فإننا نحافظ على الزاوية القائمة بين الأعمدة والأرض وبين الاعمدة والسقف، وفي حالة الأعاصير فإنها عادة ما تكون مصاحبة برياح ذات سير أفقي فيكون بذلك الحوائط والأعمدة في حالة خطر لأنها تعترضها، خاصة إذا كانت سرعة الريح قوية.

اما في حالة الزلازل فعند اهتزاز الارض سيهتز كل من عليها وبالتالي ستهتز الاعمده و الجدران و السقف في البناء التقليدي و كلما ازدادت قوة الهزه ازداد الخطر، هنا نعود للزوايا القائمه بين الارض والاعمده مع الجدران التي هي تكون بشكل رأسي مع الارض، و بزاويه قائمه بعد الهزه الارضيه اذا تغيرت الزاويه القائمه الى زاويه حاده او منفرجه (أصغر أو أكبر من 90 درجه) هذا يعني سقوط سقف المبنى، لذا تظهر معالجة القباب والتي لا نستخدم فيها لا الجدران الرأسيه و لا الاسقف الافقيه انما يتم الجمع ما بين الرأسي و الافقي بمجموعة من المنحنيات ، عندما تكتمل المنحنيات و تعطينا شكلا للقبه يصبح بامكاننا مواجهه الكوارث الطبيعه لان جدران القبه لا تواجهه الاعاصير و الرياح بشكل مباشر (افقي مع رأسي) بل القبه تواجهه الاعاصير بمنحنى و بالتالي الرياح تلتف حولها دون المواجهه، أما في حالة الزلازل فان القبه لا يوجد بها زاويه قائمه لأنها مجموعه منحنيات تشكل قبه مترابطه مع بعضها و هي حامله لوزنها بنفسها مما يؤدي بالتالي إلى متانة المبنى مهما تقادم الزمن (انظر صورة رقم 4)، ولعل بناء السقف على مستوى سطح الأرض من الأمور الأساسية التي ساهمت أيضاً في متانة تلك القباب فهي بالعادة محاطة بالأبنية من جهة ولا ترتفع عن سطح الأرض. (شكل 4).

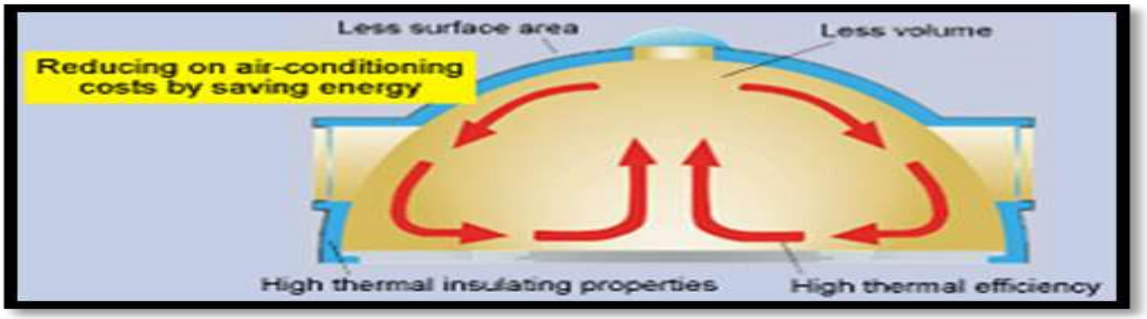

شكل (4): حركة الهواء الساخن في القبه والاحتفاظ به، شكل قباب الحمام بارزه على مستوى سطح الأرض

(http://www.i-domehouse.com/characters.html)

ومن ميزات الأسقف المقببة انها عازله للحراره، فعندما تصدم اشعه الشمس بالقبه أو القبو فأن اشعتها تتبعثر في كل الاتجاهات، ويصبح فرق درجه الحراره من الداخل بين اعلى القبه و الارض لا يقل عن 4 درجات حراره، فضلا عن فرق الحراره بين داخل القبه و خارجها الذي يتراوح من 6 الى 10 درجات مئويه بسبب تبعثر اشعه الشمس عن سطحها مما يوفر من الطاقه للتبريد او التدفئه كما هو واضح من الشكل (5):توزع الحرارة في باطن القبة.

صوره (4): قبة حمام من الخارج تظهر البناء تحت سطح الارض (الباحثة)

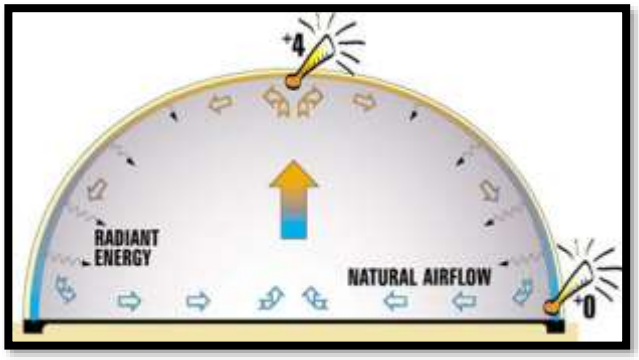

شكل (5):توزع الحرارة في باطن القبة -http://www.i-domehouse.com/characters.html

مواد بناء الحمامات: عادة لا تكتسب الحمامات في مواد بنائها الداخلية، نقاءها في الرائحة إلا بعد سبع سنوات، بعكس الحمامات الحديثة التي يلاحظ في معظمها فساد الرائحة بأبخرة الطين والحجارة لعفونة تسرب المياه في سقوفه وجدرانه وأرضيته. (الطاهر: 2005)، ولم يقتصر تفرد العمارة العربية الاسلامية اليمنية على التصميم والوظيفة، بل تعداها لأن تتميز أيضاً بموادها التي وفرتها طبيعة البلاد كمواد وخامات أولية، ومن تلك المواد والخامات:

- حجرالحبش: وهو حجر البازلت الإسفنجي، ويستخدم لبناء الحوائط الخارجية، والتي يتم بناؤها من أحجار مصمتة، وتمتد حتى بداية السقف، وترص الأرضيات كذلك بنفس نوعية الحجر.
- الطوب: أو الياجور الأحمر، ويفضل استخدام النوع المحروق جيداً والسميك، ويستخدم لبناء الحوائط الداخلية ، وتقوية البناء ، وتبنى منها القباب والقبوات البرميلية والحنايا الركنية والمقرنصات.
- القضاض: مادة بناء يمنية قديمة في تاريخ العمارة اليمنية وهي "المونة" فهي مادة لاحمة (لاصقة) تربط بين أجزاء البناء من طوب وحجر، وهي مادة جيرية مركبة تمتاز بالصلابة والتماسك، ولا تسمح بنفاذ الرطوبة أو المياه خلالها، لأنها ذات كثافة وعالية وتزداد صلابتها مع الزمن، كما تستخدم في تكسية الجدران أو الحوائط السفلية للبناء وتكسية الحمامات بالأخص. (الأصبحي: 2004)
- المواد العازلة حرارياً : يهتم الحمام بعملية عزل وحفظ الحرارة في كافة مرافقه، لذا قام البناؤون بدهن الحوائط الداخلية بالقضاض و بالشحم لاكتساب العزل وحفظ الطاقة.
- الأخشاب: استخدم الخشب للأبواب وعلى شكل عوارض خشبية تمتد في الأركان وتغطي القباب من الداخل بطبقة من الملاط.

المميزات و الخصائص المعمارية لحمامات صنعاء القديمة: اشتركت حمامات مدينة صنعاء القديمة بعدة ميزات وخصائص فرادتها عن بقية الحمامات، وتتلخص هذه المميزات في الآتي:

- مستوى أرضية الحمام منخفضة عن سطح الأرض ، بغرض الاحتفاظ بالحرارة ، وهي ميزة لا توجد إلا في الحمامات الصنعانية، حيث أن دفنها في الأرض يتيح لها الاحتفاظ بدرجة الحرارة وعدم استهلاك الكثير من الوقود لتدفئتها.
- واجهات الحمامات بسيطة وبدون زخرفة ، والحمام محاط بالمساكن والمنازل من جميع الجهات لغرض عدم التلصص عليها والاحتفاظ بخصوصية مرتاديها، عدا حمام شكر الذي تقع واجهته على السائلة مباشرة.
- جميع الحمامات تشترك بالتسقيف الكتلي، وذلك لضمان دوران وحركة الهواء الساخن داخل الفراغات الداخلية، فكانت مسقوفة إما بقباب، أو أسقف برميلية ، والتي عادة ما يكون بها ثقوب مغطاة بالزجاج أو قطع الألباستر، لإدخال الضوء الطبيعي للحمام.
- جميع الحمامات موزعة بجانب آبار أو مرانع للماء، ويتم تصريف مياهها إلى بساتين (المقاشم) ، أما اليوم فالمياه العادمة تذهب للصرف الصحي بسبب المواد الكيماوية والمنظفات التي قد تضر بالنباتات إن تمَّ تصريفها بالطريقة القديمة.
- الوقود كان عادة من المواد العضوية مثل الخشب وروث الحيوانات والفضلات الإنسانية والجلود والعظام. وكانت الفضلات الإنسانية تجمع من النقر المخصصة لها في البيوت السكنية ، ويتم وضعها خلف سور المدينة

الجنوبي لتجف أو في المضحى (الساحة) الملحقة بالحمام،وظل الحال في استخدام هذه الطريقة حتى بداية عقد السبعينات من القرن العشرين، حالياً يتم استخدام الوقود البترولي والغازي في التسخين ضمن غرف خاصة تولد الحرارة وتسخن منطقة الدست في الحمام.(الطاهر: 2005، عنان: 1983)،(البنا: 1993)

- ومن الميزات المعمارية ايضاًوجود قهوة (مقهى)، ملحق بالحمام ، بقي جزء منها والبعض الآخر اختفى ، وكان أبناء الخُمُس يمارسون مهنة الحمامي والمقهوي في نفس المكان، إن وجود المقهى يتبع الأسلوب العثماني في توزع وتصميم الفراغات ، ولازال المقهى الملحق بحمام محمود موجوداً رغم أن مكانها الأصلي تغير، وكانت أبواب المقهى الملحق بحمام محمود موجوداً رغم أن مكانها الأصلي تغير، وكانت أبواب المقهى منفصلة عن داخل الحمام ، لكنها عادة ما تكون ضمن واجهة المدخل الرئيسي.

- **تحليل النتائج وتفسيرها**

- مازالت الحمامات تعمل وتؤدي مهماتها إلى اليوم بشكل وظيفي منذ أكثر من خمسمئة عام ، ودليل ذلك بأن أغلب الحمامات الواردة في البحث تم ذكرها في مصادر تاريخية تعود للقرن السادس عشر.
- مازال الدور الاجتماعي للحمامات يؤدى في حفلات الزواج والولادة.
- يوجد مصلى في جميع الحمامات.
- توجد حمامات يتوازى فيها الصدر مع الأوسط، وحمامات يتم الدخول لها عن طريق أحد خزانات الأوسط مثل حمام شكروالحميدي.
- بعض الحمامات تحيط بالأوسط خزانتان وبالصدر خزانتان، بينما البعض الآخر من الحمامات يكون ملحقاً بالصدر أو الأوسط فقط خزانة واحدة.
- أغلب الحمامات أزايل الحوض الموجود عادة في أحد خزانات الصدر وتم استبداله بدكة حجرية للجلوس.
- الترميم عادة ما يشرف عليه ويقوم به العائلة التي تدير الحمام ويكون بغرض وظيفي بحت، وليس بغرض جمالي.
- دائما وفي أغلب الحمامات يوجد عمود ببدن أسطواني يفصل بين قاعة المخلع والمخرجة ، لعل سبب وجوده كعلامة بصرية لتنبيه المستحمين للمعقم الحجري الموجود في الأرض، والذي يفصل (ويعقم) بالتنبيه أرضية المخلع من الدخول إليها دون نزع القبقاب أو الحذاء.
- مداخل معظم الحمامات في المدينة القديمة صنعاء جنوبية لدفء الرياح التي تواجهها والتي لا تضر المستحمين أثناء خروجهم من الحمام.(ذكرها بالإسم الحمامات كيف نعرف الغربية والجنوبية منها)
- أبناء المدينة القديمة وسكانها هم غالباً مرتادين دائمين للحمامات التي تشكل ثقافة الحمام لديهم إرثاً لم يستغنوا عنه رغم وجود سبعة وثلاثين حماماً بخارياً منتشرة في العاصمة وضواحيها، إلا أن قربها المكاني جعلها في حالة عمل دائم.
- ثقافة الحمام عند الشباب عموماً غير حاضرة، بل يتم تجنبها أحياناً من قبل هذه الفئة المثقفة لعدة أسباب أهمها قلة نظافة الحمام.
- لا يوجد اهتمام في الزخرفة الداخلية للحمامات.
- الواجهة بسيطة في أغلب الأحيان تفتقر إلى عنصر الجماليات ولا توجد يافطات تليق بثقافة الحمام وتظهر بوضوح، بل لوحات ساذجة التصميم لا يقصد منها سوى الإعلام بالمكان.
- لا توجد حملات دعائية أو تسويقية للحمامات ولا للمواد المستخدمة في الحمام.
- نبذة عن تاريخ الحمام أو سنة إنشاء في لوحة خارجية لا يوجد.

- اختفاء الحمام من الحياة الأدبية في الشعر والنثر الحديث.
- لا يوجد أسطاوات التدليك والمختصون في الحمام إلا بأعداد قليلة ، ومعظمهم من الشباب القليلي الخبرة والممارسة.

ـ لا توجد رقابة مباشرة على الحمامات من وزارة الصحة مثلا، أو من وزارة السياحة، ولا يخضعون للضرائب بأعتبارها تحت غطاء الوقف، وهذا السبب الذي ساعد على استمرارها حتى اليوم.

ـ الإدارة لهذه الحمامات محصورة في العوائل التي توارثت هذه المهنة منذ مئات السنين.

- **التوصيات والمقترحات:**

ـ استخدام مادة الرخام في الحمام في إكساء الحوائط وتحت الأحواض وتغطية مساطب الجلوس. وبألوان فاتحة لتظهر نظافتها، حيث أن الألوان الغامقة لن تظهر مدى نظافة الحمام بوضوح.

ـ استخدام زجاج القمريات الملون بدلاً من الأبيض المغبش في فتحات القباب.

ـ عمل حملات دعائية وتسويقية للحمامات التراثية في المدينة.

ـ الاهتمام بالتصميم الداخلي للحمامات.

ـ إيجاد سوق شعبي مختص فقط بمستلزمات الحمامات وأدواتها.

ـ إدخال طرق مساج جديدة وحديثة بالسمك وأنواع التدليك والأقنعة الحديثة.

ـ إلحاق خدمات كفتيريا بداخل الحمام.

ـ إضافة غرف خاصة بالتبديل.

ـ إنشاء رقابة صحية تقوم بمتابعة عمل الحمامات.

ـ عمل برامج سياحية ووثائقية لهذه الحمامات.

ـ إلحاق دورات مياه في هذه الحمامات بعدد كافي وليس كما هو معهود من تخصيص غرفة واحدة فقط.

ـ إقامة نشاطات ثقافية وسياحية في الحمام، كأن تخصص أيام تمثل فيها الزفة كدعاية وإعادة إحياء للتراث حيث يتواجد فوج سياحي والنشادين ليقبل عليها الناس.

ـ إعداد خارطة سياحية توضح فيها أماكن هذه الحمامات التاريخية في المدينة ونبذه تعريفية عنها حول الخارطة.

- **المصادر والمراجع العربية**

ـ الحيمي، شهاب الدين أحمد بن محمد الكوكباني ، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي. (1986)، حدائق النمام في الكلام على ما يتعلق بالحمام، الطبعة الأولى، دار التنوير، بيروت: لبنان.

ـ الدميري، كمال الدين محمد بن موسى ، تصنيف: أسعد الفارس، (1992)، حياة الحيوان الكبرى، دار طلاس، دمشق: سوريا.

ـ المسودة السنانية، تنسب إلى الوالي العثماني سنان باشا الذي قام بحصر جميع أموال الوقف وتسجيلها طبقاً لأصولها وإجازاتها في سجلات خاصة عرفت ب(المسودة السنانية) (978-976هـ / 1569-1571م) وماتزال المسودة محفوظة إلى اليوم ضمن محفوظات وزارة الأوقاف، أبو الرجال، علي أحمد ، الوثائق والتوثيق، الموسوعة اليمنية.(1986).

ـ الشافعي، شهاب الدين أحمد بن عماد الأقفهسي. تحقيق : خير رمضان يوسف (1992)، القول التمام في آداب دخول الحمام (احكام دور الاستحمام في الفقه الاسلامي)، دارابن حزم ، الطبعة الأولى ، بيروت :لبنان.

- السياغي، حسين أحمد ،(1982)، قانون صنعاء ، مجلة دراسات يمنية ، العدد العاشر ، صنعاء: اليمن.

- الحجري، محمد أحمد، (1398هـ)، مساجد صنعاء، الطبعة الثانية ، بيروت: لبنان.

- الرازي، أحمد عبد الله، تحقيق: د. حسين عبد الله العمري، ود. عبد الجبار زكار، (1974)، تاريخ مدينة صنعاء، الطبعة الأولى ، دمشق : سوريا.

- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي. تحقيق: إسماعيل الأكوع (1988)، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي،مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان.

-أحمد، سهام (2014)، فوائد حمامات البخار نصائح طبية ، www.almrsal.com/post/116712، تاريخ الاستخراج: 6-7-2014.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (1956)، لسان العرب، دار صادر ، بيروت: لبنان.

الشافعي، شهاب الدين الأفقهسي ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف (2000) ، القول التمام في آداب دخول الحمام (أحكام دور الاستحمام في الفقه الإسلامي)، دار ابن حزم ، طبعة أولى ، بيروت : لبنان.

- البنا، السيد محمود محمد (1993)، دراسة ترميم وصيانة مدينة صنعاء القديمة في العصر العثماني، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ، قسم ترميم الآثار.

- الطاهر، مركز الطاهر للاستشارات الهندسية ، مجموعة مؤلفين : مهندسين ومختصين في الاثار اليمنية (2005)، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الاسلامية المختلفة (دراسة تحليلية على العاصمة صنعاء الجمهورية اليمنية)، منشورات منظمة العواصم والمدن الاسلامية ، جدة:المملكة العربية السعودية.

- عنان، زيد علي (1983)، صنعاء حاراتها وآبارها وشوارعها ومساجدها وأسواقها وألعابها، مجلة الإكليل ، العدد (2،3)، عدد خاص بصنعاء، وزارة الاعلام والثقافة، صنعاء: الجمهورية اليمنية.

- حسنين، سعاد محمد حسن، إشراف : حسن حسن الباشا (1983)، الحمامات في مصر الإسلامية – دراسه أثرية معمارية –، القاهرة.

- مانزوني، رينزو. ترجمة : ماسيمو خير الله (2011)، اليمن رحلة إلى صنعاء 1877-1878 م، منشورات وحدة التراث الثقافي الصندوق الاجتماعي للتنمية، الطبعة الأولى ، صنعاء : الجمهورية اليمنية.

-يسر، محمد عبد العزيز سعد (2004) ، الموروث الحضاري لصنعاء القديمة، سلسلة اصدارات جامعة صنعاء ، رقم (1)، صنعاء : الجمهورية اليمنية.

-سكيرس، جينيفر، ترجمة: ليلى الموسوي (2004)، الثقافة الحضرية في مدن الشرق ، عالم المعرفة، العدد رقم 308 ، أكتوبر ، مطابع السياسة ، الكويت.

- عبد الرزاق ، أحمد (1974)، المرأة في مصر المملوكية، القاهرة.

- ابن دانيال،(بدون تاريخ)، طيف الخيال، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم (304) جغرافيا صفحه 5.

- الحداد ،عبد الرحمن (1990)، صنعاء (تاريخها ومنازلها الأثرية) ، القاهرة: مصر.

-العريقي، منير عبد الجليل (2002)، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة: مصر.

- العمري ، عبد الله حسين (2003)، تاريخ الحمام في اليمن ، الموسوعة اليمنية ، الجزء الثالث، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء: اليمن.

- الثور ، أمة الرزاق إسماعيل قاسم (2010)، الولاة العثمانيون وأبرز اعمالهم الإنشائية في فترتي الحكم العثماني الأولى والثانية لليمن(945-1045 هـ / 1538- 1635 ، 1289 – 1336 هـ / 1872-1918م)، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 22، السياحة والآثار (2) صفحة 125- 150 الرياض.

- **المصادر و المراجع الأجنبية**

- Robin ,Ch; et Ryckmans, JL, attribution d (1978), un bussin a une divinite en Arabie du sud antique . Raydan, vol (1), pp24-25.
- Lowick, Nicholas(1975), The Public Bath *(Hammām,* pl., *hammāmāt)—Ronald Lewcock, Ismā'īl al-Akwa', R.B. Serjeant*
- Grabriet, Baer (1964), Egyptian Guilds in Modern times , the Israel Oriental Notes & Studies . p. 63.
- Marcel, Clerget (1934), " Le Cairo " Tom II.,Le cairo. Abu Lughod (Janet) Cairo 1001 years of city victorious . newjersey 1971. P .74.

- **المواقع الالكترونية:**

1. http://www.the-yemen.com/vb/t93208.html / 6-6-2016
2. http://www.i-domehouse.com/characters.html /5-6-2014